

الباب الأول لتاريخ باكستان

أبو سعيد بن ابى صفرة

المُهلَّب

أول عَلَمٍ إسلاميٍّ في مناطق باكستان

د. سيّد محمد أنور

أبو سعيد بن ابى صفرة

المُهلَّب

أول عَلَمٍ إسلاميٍّ في مناطق باكستان

د. سيّد محمد أنور

عنوان الكتاب:	المهلب: أول علم إسلامي في باكستان
المؤلف:	الدكتور سيد محمد أنور
الطبعة:	الأولى، يونيو 2024م
الناشر:	وحدة فاونديشن، إسلام آباد

Al-Muhallab:
Awwal ‘Alam Islāmī fī Pākistān

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"الحياة خيرٌ من الموت، والثناءُ الحسنُ خيرٌ من الحياة، ولو أعطيت ما لم يعطه أحدٌ لأحببتُ أن تكون لي أذنٌ أسمع بها ما يقال في غدٍّ إذا مِتُّ."

(المهلب بن أبي صفرة)

□فهرس العناويـن

التمهيد والمقدمة

التمهيد

بداية الباب الأول المسلسل في دراسة باكستان

نظرية باكستان وأساسها تظهر لنا عندما نقرأ كلام الله، حيث نفهم ذلك بالوضوح التام عندما نلاحظ التفريق بين مخاطبين: "يٰأَيُّهَا النَّاسُ" و "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا". كتاب الله -القرآن الكريم - هداية للناس جميعا، بما فيهم من أهل الإيمان بفضل الله، وكذلك أولئك الذين حُرّموا من نعمة الهداية. نستطيع أن نعلم، من خلال هذا التفريق في الخطاب الربّاني، أن الله عز وجل قد وضع مسؤوليات على أهل الإيمان لحماية دينه وعلّوه في العالم، ومنها الدعوة إلى دينه وإقامة تعليماته في الأرض. تخصيص أهل الإيمان بين الناس جميعا، وإقامة دين الله سبحانه وتعالى في هذا العالم بطريق المؤمنين، هما الأساسان الرئيسيان اللذان بُني عليهما بلدنا الطيب "باكستان" في هذ، والحمد لله أنهما الأساسان موجودان إلى الآن. لهذا السبب يُقال إن أساس "باكستان" قد وُضع في هذه المنطقة في اليوم الذي ورد في هذه المنطقة أول مسلم لتبليغ الإسلام ونشر الإسلام، سواء كمُبلِّغ أو فاتح.

البقعة الطاهرة التي تُعرف اليوم باسم "جمهورية باكستان الإسلامية"، شهدت بلوغ المبلغين المسلمين والفاتحين في فترات مختلفة زمنية ومن جوانب متنوعة جغرافية. بدأ هذه السلسلة في عصر الخليفة عمر رضي الله عنه بطريق مكران، ثم استمر في عهد الخلفاء الراشدين باتجاه نفس الطريق. وفي عهد الأمير معاوية رضي الله عنه، وصل المهلّب بن أبي صفره إلى منطقة "خيبر بختونخوا"، حيث دخل من طريق

"درة خيبر" من جهة "كابل" وتقدم نحو الأمام. ثم توجه نحو الجنوب، من ملتان ووصل إلى قلات. ومن هذا نستطيع أن نقول أنه مرّ نصف قرن تقريبا من وصول المهلّب بن أبي صفره في هذه المنطقة، قبل مجيء محمد بن قاسم من قِبل ميناء "دِيبَل" السند، ومن ثم تقدم نحو الشمال حتى وصل إلى ملتان.

هؤلاء هم الفاتحون الذين وضعوا أساس "باكستان" في شبه القارة منذ قرون مضت. لذلك، فإننا نتيقن بالرسوق بأن التعرف على أساسنا الفكري وفهمه يتطلب بشدة وضرورة إلى دراسة تاريخ تلك الحقبة وتعريف الشخصيات البارزة الإسلامية من هذا العصر الإبتدائي. يجب أن يتم دراسة هذا في مادة "دراسة باكستان" كأول فصل أو باب من "تاريخ باكستان".

في العصر الحاضر، تُدرَس الكتب المطبوعة المتعلقة بدراسة باكستان التي تحتوي على مواد تتعلق بـ محمد بن قاسم، ولكن هناك جانب مهم ومتروك في هذه الكتب، حيث لا يُذكر اسم الشخصيات التي جاءت في هذه المنطقة قبل محمد بن قاسم. لذلك، -حسب رأي - أن التاريخ المتوفر في المواد العلمي عند عامة الناس ناقص وغير مكتمل. من بين هؤلاء الشخصيات المهمة في التاريخ والفاتحين البارزين في شبه القارة الهندية، أبو سعيد المهلّب بن أبي صفره رضـ التابعي، الذي كان سببًا في دخول الإسلام إلى أرض باكستان من جهة منطقة خيبر بختونخوا.

لقد بدأنا سلسلة تحت عنوان "دراسة باكستان: الباب الأول" لحصول هذا الهدف، ومن لبنتها الأولى هي الكتاب الذي نقدمه أمامكم. والقصد الأول

منها هو استطلاع الشباب، أي الجيل الجديد، على الشخصيات التي بفضلها وصل نور الإسلام إلى أرض باكستان في وقت مبكر.

تشمل هذه الشخصيات جميع الصحابة الكرام الذين دخلوا في فترات الخلافة الثلاثة: خلافة عمر بن الخطاب، عثمان بن عفّان، وعلي بن أبي طالب، في مناطق مختلفة من أرض باكستان الموجودة. بالإضافة إلى ذلك، تشتمل السلسلة على التابعين الذين جاءوا بعد الصحابة أو الذين كانوا رفقاءهم في أسفارهم من التابعين، ومن بينهم أبو سعيد المهلّب بن أبي صفره -رجل بارز- الذي هو موضوع هذه الكتاب.

من خلال سلسلة كتب التي سنقدمها أمامكم في المستقبل القريب حول "دراسة باكستان: الباب الأول"، نستطيع ارتباطنا وارتباط شبابنا والأجيال القادمة بأساس نظرية باكستان بشكل أقوى وأكثر استقرارًا، كما سيسهل علينا تصحيح العديد من المفاهيم التاريخية الخاطئة التي تتعلق بهذه المنطقة الطاهرة، والتي ترتبط بشكل مباشر بالقضايا الدولية المهمة. على سبيل المثال، العلاقات بين المناطق مثل: باكستان وأفغانستان، وباكستان وإيران، وغيرها من القضايا الدولية. سيُسهم هذا السلسلة في إظهار هذا الفصل التاريخي المتروك والمُتجاهَل، مما يساعد على تصحيح التاريخ ويسهم في فهم العلاقات الدولية وفهم العلاقات بين الدول المجاورة لهذه المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، ستساعدنا هذه السلسلة في فهم تاريخنا الوطني والإسلامي وخصوصيات هذه المنطقة وانفراديته.

النقطة الثالثة المهمة هي أن هذه السلسلة ستساعد في حل الفهم الخاطئ الذي يحدث بين الجيل الجديد في المصادر التاريخية للأسس الفكرية وبين تاريخها الجغرافي والفرق بينهما. إن شاء الله.

قبل نشر الإسلام في هذه المنطقة، كان هناك العديد من الأديان والمعتقدات التي كان أتباعها يسكنون في هذه المنطقة أي باكستان. الهندوسية، والبوذية، والأديان الفارسية والزرادشتية، البراهمية وغيرها كانت من بين هذه الأديان البارزة.

كما أن هناك دلائل أثرية أو الآثار القديمة الجغرافية تثبت وجود هذه الأديان في المنطقة. ومن الآثار القديمة والمرجعيات التاريخية التي وُجدت في مختلف مناطق باكستان، يتضح أن أتباع الأديان المذكورة قد قاموا بتأسيس سلطتهم وحكوماتهم في مناطق مختلفة من باكستان عبر العصور التاريخية. هذه الحكومات على المناطق المختلفة جزء من التاريخ الجغرافي للمنطقة -ولا شك فيها لأنها حقيقة تاريخية- ولكنها لا تعتبر جزءًا من تاريخنا الفكري، لأنه عندما دخل الإسلام في هذه المنطقة الجغرافية، تم تأسيس هوية "باكستان" التي أصبحت أساسا لاسم "باكستان". كانت هذه الهوية غير موجودة قبل وصول الإسلام، حيث لم تكن تخص هذه الهوية بقوم مخصوص، أو مجموعة إقليمية، أو بأهل لغة معينة، أو لهجة محددة محض، بل كانت لكل فرد وقبيلة وشعب قبلوا الإسلام أو اختاروا الإقامة في الدولة الإسلامية بهذه المنطقة. لذلك، فإن المعرفة الكاملة على نظرية باكستان لا يمكن إلا بعد معرفة وفهم تاريخه الفكري

بشكل كامل درساً وتدريساً. وفي جانب أخرى، إذا كان الهدف هو المعرفة بأهل الملل والعقائد قبل الإسلام فالحفاظ على تاريخ المناطق الجغرافية والإقليمية في منطقة باكستان أمر مشروع ومهم للمحافظة على هويتنا الإقليمية.

الفرق بين الهوية الفكرية والهوية الإقليمية وعلاقتهما يمكن فهمه من خلال نموذج واقعي وهو أن في معظم أماكن في هذه المناطق الجغرافية كانت تلبس "السروال والقميص" كلباس شعبي قبل وصول الإسلام. وبالتالي، هذا اللباس لا يزال مستمرًا حتى اليوم، بل هذا جزء من لباسنا الوطني وهويتنا الوطنية. ومع ذلك، كان هذه المنطقة قبل الإسلام تشهد عبادة الأصنام، وانتهت بعد وصول الإسلام ودخول غالبية السكان في دين الإسلام، وبالتالي لم يعد جزءًا من هوية باكستان الفكرية. أما في المناطق التي لم يقبل أغلب سكانها الإسلام، فالإسلام لا يُعتبر أساسًا فكريًا لهذه المناطق. تُعد هذه الحقيقة التاريخية أساساً قامت عليه دولة باكستان. هوية باكستان الوطنية لا تكون إلا بالإسلام، وإذا أراد شخص أن يعيش وفقًا لدين آخر غير الإسلام على مستوى شخصي، فإنه يُسمح له بذلك، ولكن هوية باكستان الوطنية هي تبقى بالإسلام وحده.

لذلك، من المهم جدًا أن نضع نصب العينين هذا الفصل الأول عند دراسة تاريخ باكستان. ويجب أن نحتفظ دائمًا بفصل "دراسة باكستان الأول" أمامنا لأنه يمثل هويتنا الأساسية والأولى وهي الإسلام. إذا حاولنا الفصل والتفريق بين هويتنا والإسلام وحاولنا ارتباطها بأي دين أو نظرية أخرى الموجودة في المنطقة، فهذه الهوية لا تعد هوية إسلامية، بل ستكون شيئًا آخر، وإذا قمنا بهذا،

فقد قطعنا علاقتنا بأساس هوية باكستان الفكرية.

تقوم الهوية الفكرية على أساس منهج الفكر، وأرادة لأفراد المجتمع، وتنتج على الوحدة والقوة بين سكانها. بينما الهوية الإقليمية واللغوية والعرقية لا تشمل على الفكر والإرادة، لذلك فهي تنتج على التفريق بين الأفراد عن بعضهم البعض بشكل غير إرادي وغير فكري. إذا استمررنا في ممارسة هذا التقسيم والتفريق بين الأفراد والطبقات على هذه الأسس، فليس من الممكن تكوين الأمة الواحدة في مثل هذه المجتمعات، بل قد تظل المجتمعات منقسمة على مستوى الحي أو حتى أقل من ذلك. نظرية الإسلام لا تنفي وترد مثل هذا التنوع فحسب، بل تقدم بديلاً فكريا في هذا الجانب وهو أن أساس هوية لا يمكن على أساس اللون أو العرق أو الطبقة الاجتماعية، بل يجب أن يكون الأساس فكريًا، وهذا هو "باكستان."

المقدمة

كونها دولةِ نظريّة، تُعدُّ الجمهورية الإسلامية باكستان فريدة من جميع دول العالم الأخرى. أساسها هو دينها. لذلك، يبدأ الفصل الأول من دراسة باكستان وتاريخها من يوم وصل فيه الإسلام إلى هذه المنطقة.

البوابة الثانية التي دخل منها الإسلام إلى منطقة باكستان بعد مكران (بلوشستان)، هي بوابة "خيبر" المسمى "دره خيبر". وصل الإسلام إلى هنا في عام 664م، الموافق 44هـ، بالمهلّب بن أبي صفرة الأزدي، الذي قائدًا عربيًا شجاعًا وجريئًا. كان يكنا بأبي سعيد، وكان اسم الكامل أبو سعيد المهلّب بن أبي صفرة الأزدي. كان من منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية، وينتمي إلى قبيلة "أزد" الشهيرة التي كانت تسكن في سلطنة عمان.

المهلّب بن أبي صفرة عين على المناصب الحكومية العالية في وقته لصلاحياته وأوصافه العالية كالشجاعة، والحكمة، والفطانة الساسية والقيادية والمعرفة على الأمور الإدارية، بالإضافة إلى القوة العسكرية. فهو كان واليا على فارس (685م - 686م)، وموصل-أرمينيا-أذربيجان (686م - 688م)،

وخراسان (**698**م - **702**م). والمعلوم أن قبيلة ازد والأزديين كانوا يُعتَبرون قبيلة قوية ومهمة في الأمور السياسية في فترة الأمويين والعباسيين، ولكن شجاعة المهلّب المتميزة جعلت له ولأبنائه مكانة خاصة من بين قبيلة أزد، وأصبحوا يعرفون باسم "المهلّبيون" كفرع من قبيلة أزد.

وُلد هذا القائد الإسلامي والعربي العظيم أبو سعيد المهلّب بن أبي صفرة قبل عامين من وفاة النبي ﷺ. وقد وصل إلى منطقة باكستان في عام **44**هـ الموافق **664-665**م.[1]

قد يوجد ذكر قصة وصوله- المهلّب بن أبي صفرة- إلى منطقة باكستان في عام **44**هـ في معظم كتب التاريخ الإسلامي من تلك الفترة. ومن بين هذه الكتب المعتبرة: "فتوح البلدان"، و"تاريخ ابن الأثير"، و"تاريخ الطبري"، و"تاريخ خليفة بن خياط"، و"تاريخ ابن خلكان"، و"أسد الغابة" وغيرها. استنادًا إلى هذه المصادر التاريخية الموثوقة، قد كتب المستشرقون أيضاً حول المهلّب ووصوله إلى منطقة باكستان. وفي تاريخ هذه الفترة، كتب المستشرق الشهير "وينك" في كتابه المعروف عن تاريخ الإسلام في الهند **"Al-Hind The Making of the Indo-Islamic World"** في الجزء الأول، استنادًا إلى مرجع البلاذري في "فتوح البلدان"، وإليك المقال مع الترجمة :

1اردو دائره معارف اسلاميه(موسوعة الإسلام بالأردية)، جامعه بنجاب، لاهو، ط**1422**هـ **2001**ء ج **21**، ص**901**

ʿin the reign of Muʿawiya campaigns against the Zunbil in Zamindawar and against the Kabulshah were still undertaken with enthusiasm by Abd ar Rahman and by Al-Muhallab. Baladhuri writes that ʿAl-Muhallab ibn abi Sufrah raided this frontier in the days of Muʿawiya in the year 664. He reached Bannah and Al-Ahwar (Lahore), towns between al-Multan and Kabul. The enemy met and attacked him and his followers'.[1]

"في عهد أمير معاوية، عندما كان عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرّة والمهلب بن أبي صفرة يقاتلان ضد كابول شاهي في المناطق المجاورة لزابول وكابول، وفي نفس الفترة، في عام 664م، وصل المهلب من كابول إلى بنة والأهوار (صوابي)،مدينتان بين كابول و ملتان".

قد ذكرها المؤرخين هذه الحقيقة التاريخية بألفاظهم الخاصة.

وبذلك، في سياق هذه الأحداث التاريخية المذكورة، دخل الإسلام إلى

1 André Wink, Hind The Making of the Indo-Islamic World, BRILL, 1991. P.121

البلاذر، أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: 279هـ) فتوح البلدان، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر: 1988 م (ص: 417) و(ص: 384)

منطقة باكستان من الجهة الشمالية الغربية، أي بعد بلوشستان في الجهة الجنوبية الغربية، وصولاً إلى مدينتها المركزية ملتان في عام **44**هـ، الموافق **664**م.

في شبه القارة الهندية، ذكر العديد من المؤرخين المعاصرين — الذين لا تتعلق كتبهم بتاريخ الإسلام، بل تتعلق بتاريخ المنطقة الجغرافية المحلية— عن قدوم الجيش الإسلامي عبر بوابة خيبر "دره خيبر" (خيبر بختونخوا) إلى المنطقة. كما ورد في كتاب تاريخي عن منطقة مُلتان الذي ذكر فيه ما يلي:

> "دخل المسلمون من طريق "دره خيبر" في عام 664م عندما أرسل حاكم سيستان المسلم عبد الرحمن بن سمرّة جيشًا بقيادة المهلّب بن أبي صفرة إلى فتح الهند. دخل هذا الجيش لأول مرة عبر ممر خيبر إلى شبه القارة الهندية، حيث تقدم باتجاه الجنوب على الضفة الغربية لنهر السند، وفي منطقة قندابيل (غنداوا) اصطدم مع السكان المحليين، حيث انتهت المعركة بفتح المسلمين". [1]

بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الكتب المرجعية الموثوقة التي تذكر أن المهلّب بن أبي صفرة دخل في منطقة باكستان الحالية من طريق خيبر وفتح المدن

---

1 تاريخ وتمدن ملتان(تاريخ و): ابتدائے آفرينش سے عصر حاضر تک، (تاريخ وحضارة ملتان: من بدء الخليقة إلى العصر الحاضر) المؤلف: اخلاق احمدقادرى، علم وعرفان ببلشرز، لاهور **2011**ء، ص **67**

في طريقه حتى وصوله إلى ملتان مذكور في المصادر. وكذلك نجده في دائرة معارف إسلامية الأردية حسب التالي:

> "عندما قام الملك شج بفتح ملتان، قد بدأ في وقتئذ ثورة عالمية في تاريخ العالم أي أن الإسلام قد ظهر وبدأت تأثيراته تنتشر واستمرة الثورة إلى وصول ملتان. توفي شج في السنة 40 هـ/ 660م، ووصل القائد العربي ابن مهلّب الأنصاري إلى ملتان في السنة 44 هـ/ 664م. وقد فتح المسلمون مكّران وسجستان في السنة نفسه".[1]

من خلال الإشارات التاريخية المذكورة أعلاه، يتضح أنه على الرغم من أن الجيوش الإسلامية في الهند تقدمت من كابُل عبر "خيبر" على طول الجانب الغربي لنهر السند حتى وصلت إلى ملتان، ولكن الجيوش الإسلامية لم تستطع بفتح قلعة ملتان. وقد تم فتح القلعة في السنة **95** هـ/ **713**م على يد محمد بن قاسم وجيشه الذين دخلوا من الجنوب. في ذلك الوقت، كان غور سينغ -ابن عم الملك داهر- حاكما على ملتان، وهو فر من ملتان وتوجه إلى الشمال الشرقي إلى منطقة كشمير.[2]

من خلال هذا ترتيب لأحداث التاريخية — المسجل على المنهج المذكور في

1اردو دائره معارف اسلاميه(موسوعة الإسلام بالأردية)، جامعه بنجاب، لاهو، ط**1422**هـ **2001**ء، ج **21**، ص**548**

2ينظر: تحت مقال: ملتان، اردو دائره معارف اسلاميه(موسوعة الإسلام بالأردية)، جامعه بنجاب، لاهور، ط**1422**هـ **2001**ء، ج **21**، ص**548**

العديد من كتب التاريخ — يتضح أنه في السنة **95** ه، أي **713**م، عندما فتح محمد بن قاسم ملتان، لقد انتشر الإسلام قبله من الشمال الغربي لمدينة ملتان حتى "درة خيبر" (بجنب نهر السند). كانت حكومة الهندوسية الملكية أو حكومة الملوك الهندوس من كابل قد أصبحت ضعيفة وقد قرب زوالها. لهذا السبب، فرّ للملك غور سينغ-ابن عم راجا داهر -من ملتان ولم يتوجه نحو الشمال الغربي، أي نحو بيشاور، بل هرب إلى الشمال الشرقي، أي نحو كشمير، حيث كانت حكومة الملوك الهندوس لا تزال قائمة. وكانت سلسلة انتشار الإسلام من درة خيبر إلى الجنوب حتى ملتان قد بدأت منذ عام **44** ه/ **664**م مع مجيء المهلّب بن أبي صفرة. ولذلك، ما استمر محمد بن قاسم في تقدمه وفتوحاته شمالًا لأن الإسلام كان قد وصل إلى تلك المناطق بالفعل، فلا داعي إلى فتحها وقتئذ ووجه إلى منطقة التي ما زالت في أيدي غير المسمين.

اعترف المؤرخين جميعاً-المنتمين بأي دين أو فكر- بهذه الحقيقة التاريخية. فقد ذكر المتقدمون والمتأخرون والمعاصرون من المؤرخين المسلمين، والمستشرقون، ومؤرخو القوميين في العصر الحاضر، أن المهلّب بن أبي صفرة قد جاء إلى منطقة باكستان من الشمال الغربي عبر "درة خيبر" كفاتح مسلم، وذلك قبل أكثر من أربعة عقود من وصول محمد بن قاسم إلى السند.

ورغم ذلك، هذه الحقيقة التاريخية الواقعية مفقودة من المناهج الدراسية، والكتب التعليمية، والكتب العامة المتوفرة بدراسة باكستان.

التاريخ والجغرافية

علم التاريخ والجغرافيا هما مادتان مرتبطان فيما بينهما ارتباطًا وثيقًا. فالتاريخ، وخاصة تاريخ الأمم، هو عبارة عن توثيق للأحداث السياسية التي جرت على بقعة جغرافية معينة. لذلك، لفهم تحركات هذه القطع السياسية، وللتعرف على تقدمها وتراجعها، ومعرفة متى؟ وكيف؟ ولماذا؟ ومن هو الذي تعرض للهزيمة أو النصر في كل مكان؟، من الضروري فهم صفوف الخانات أو المكانات على الساحة، سواء كانت عمودية أو أفقية، مستقيمة أو مائلة.

وفي هذا الكتاب، قد ااهتمنا لهذا الأمر، حيث حرصنا على أن يتم بيان الجغرافيا بوضوح مع التاريخ، لكي يكون لدى القارئ تصور كامل وتصوير واضح لا للأحداث محض، ولكن لا بد من الخرائط للمواقع الجغرافية لهذه الأحداث التاريخية. كما قمنا ببيان خرائط لكل تقسيم جغرافي مذكور، مثل المنطقة والإقليم. وعند الحاجة قد قدمنا الخطط بالخطوط العرض والطول، وهو يعين القارئ على فهم المسافات وخصائص المنطقة وبيان للأماكن المذكورة بشكل أفضل وأكثر دقة من خلال تصور أماكنها بالنسبة للمستوطنات والمدن الجديدة في وقتنا الحالي.

لقد لاحظنا أن الكتب المطبوعة المتوفرة باللغة الأردية حول تاريخ الإسلام حتى الآن نادرًا ما تعرض الحدود الجغرافية للأحداث التاريخية في شكل خرائط، مما يؤدي إلى عدم اكتمال السرد التاريخي، وبهذا يبقى نوع من الغموض واللبس -كما كان قبل المطالعة- عند القارئ.

ومن أسباب هذا الغموض واللبس هو أن الهيئة التنظيمية والحدود الدولية

بين الدول التي نراها اليوم لم تكن موجودة قبل عدة قرون. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الأسماء الحالية للمناطق كانت تُسمى بأسماء أخرى في الماضي. لقد تم تأسيس آلاف المدن والملايين من المستوطنات الجديدة، بينما العديد من المدن إما أصبحت مهجورة أو اختفت تمامًا من وجه الأرض. تغيّر أسماء العديد من المدن، كما تغيّرت وضعياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. هذه كلها عوامل زمنية تؤثر في الفهم الكامل للأحداث التاريخية، ولا يمكن للتاريخ وحده أن يعبر عنها كما ينبغي، إلا إذا تم تضمين المعلومات الجغرافية المرتبطة بتلك الحقائق في الكتاب التاريخي بوضوح.

بقعات الأرض التي تختلف في أوصافها كالجبال، والأنهار، والصحاري، والمناطق السهليه والمرتفعات، والغابات وغيرها هي عادةً علامات جغرافية تساعد في تحديد موقع معين. لكن عندما البحث حول الأحداث التي وقعت قبل **1500** سنة، قد تكون بعض هذه العلامات غير موثوقة بسبب عوامل معينة؛ مثلا: تآكل الجبال أو تفتُّتها بعنف بمرور الزمان، وكذا تقلص و تقلل المساحات الغابات أو توسعها، وتغير مجرى الأنهار، وتغير سواحل البحار أو تقلباتها، وانتشار الصحاري أو وتنقصها، وما إلى ذلك. وبالتالي، في مثل هذه الحالات، عندما يكون الهدف هو تحديد موقع معين بدقة، يتم تقسيم المنطقة باستخدام خطوط خيالية تُعتمد على خطوط الطول **(Longitude)** والعرض **(Latitude)**.

لتوضيح المزيد، يمكن تحديد المناطق أو بقعات الموزعة على هذه الخطوط

باستخدام البوصلة لتعين الاتجاها بالنسبة إلى قطبي الأرض. مع مراعاة هذه المبادئ، استخدمنا خرائط حديثة لباكستان والدول المجاورة لها مثل أفغانستان، إيران، والعراق، بل واستخدمنا في بعض الأماكن صوراً ملتقطة بواسطة قمر اصطناعي لتوفير معلومات جغرافية دقيقة.

كما مر سابقاً، لقد بذلنا قصارى جهدنا لكي نضمّن الأحداث التاريخية إلى جانب الخرائط الجغرافية وغيرها في هذا الكتاب قدر الإمكان. بالإضافة إلى ذلك، تم الاهتمام بشكل خاص بالأمور التالية في تأليف هذا الكتاب:

① — بالإضافة إلى الخرائط، استخدمنا أيضاً الصور ذات الصلة، بحيث تصبح الحقائق أكثر وضوحا مدللة وجاذبية. مثلًا، تم تحديد المناطق الخاصة بالحملات العسكرية على الخرائط، وصور العُملات، والخرائط الخاصة بالمناطق التي تم فيها سك العملات، وما إلى ذلك.

② — لقد بذلنا الجهد في نقل الاقتباسات من الكتب التاريخية بشكل دقيق وبدون تغيير. كما تم التأكد من صحة مراجعها. من أجل الحفاظ على صحة النص، تم نقل بعض العبارات العربية من الكتب المصدرية لفظيا. واهتمنا بذكر تاريخ وفاة المؤرخين أيضًا لكي يكون القارئ على علم بقِدم المصادر بثقاهتها جنباً بجنبٍ.

③ — وكذلك، اهتمنا بتوضيح العلاقة والارتباط بين شخصية المهلّب وبين منطقة باكستان الحالية. بالإضافة إلى ذلك، تم التركيز على موقفه الثابت شخصية سياسية وعسكرية لها دور فريد وبارز في

الدولة وقتئذ، حيث قام بمواقفه السياسية بالوضوح التام، وقام بشكل عملي أمام التطرف الديني، كذا ركز مهماته على تأصيل الفتن التكفيرية والخارجية من جذورها. رغم أن حياة المهلّب السياسية مليئة بالكثير من الإنجازات، إلا أن هناك إنجازين مهمين لهما دور بارز في سياق دراسة باكستان:

أولاً: نشر الإسلام في المناطق الشمالية الغربية من باكستان لأول مرة؛

ثانيًا: قمع العدوان والتطرف؛

لقد اهتمنا بالأمرين اهتمامًا خاصًا في الكتاب وإبرزناهما حينا بعد حين.

④ــــلقد تبين لنا من خلال الملاحظة أن العديد من القراء يواجهون صعوبة في التمييز بين السنة الميلادية والسنة الهجرية أثناء دراسة كتب التاريخ الإسلامي، مما يؤدي إلى حدوث بعض المفاهيم الخاطئة. بالإضافة إلى ذلك، فإن كتابة التواريخ بنظامين مختلفين في نفس المواضع قد تخلق تشويشًا وتخل في تفهيم النصوص. وللتغلب على هذا التشويش، قمنا بإدراج جدول مقارن بين السنة الهجرية والميلادية خلال فترة حياة المهلّب في الكتاب، بهدف تسهيل المقارنة بين كلا النظامين الزمنيّين (الهجري والميلادي) للقراء.

⑤ــــفي عدة مواضع، تم التأكيد على أن من واجبنا كجيل شاب أن نقوم بمسؤولية حماية تاريخنا وتراثنا الديني بأنفسنا. يجب ألا نترك تراثنا القيم تحت ذمة المستشرقين أو الموسوعات المعروفة على النت (مثل

ويكي بيديا) الذين يقومون بالتدخيل المؤدي إلى الضرر الذي لا يمكن تصحيح إلا بجد كبير، وهم قاموا بها بالفعل بتاريخنا وتراثنا الديني، وقد يستمرون في ذلك في المستقبل. لأن المعلومات المستخلصة من هذه المصادر قد تحتوي على تحريف، تزوير، مبالغة، تدليس، وإخفاء الحقائق، وهو أمر سهل وممكن وشائع. في بعض المواضع، تم تقديم أمثلة على هذه التحريفات والتدليسات والإخفاء.

وفي الختام نرجو بأن الكتاب يؤدي إلى تقوية علاقة الشباب والأجيال القادمة مع نظرية باكستان. كما نرجو أن يكون هذا الكتاب لبنة للقُرّاء للاهتمام بتاريخ وجغرافيا البلاد، وأن يستفيد القُرّاء من هذه الجهود كما هي مستحقة.

اللّٰهُمَّ يا ربنا، ارزق الحفاظ والنصر والفتح لنا ولأوطاننا... آمين!

أسباب التاليف

لهذا التصنيف أسباب وعلل عديدة في عقولنا وقلوبنا، من بينها ما يلي:

① المهلب - أول فاتح مسلم دخل منطقة باكستان:

السبب الأول لتأليف هذا الكتاب هو أن القائد العظيم أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة، الذي دخل إلى هذه المنطقة من الجانب الشمالي الشرقي من باكستان عبر ممر خيبر وأشعل أولاً مصابيح الإسلام في هذه الأرض، لم يُذكر اسمه في كتب تاريخ باكستان ودراسات باكستان. وهذا ينتج من عدم معرفة بالجهود الجبارة من قِبل هذا البطل العظيم من أبطال الإسلام. وفي رأينا، هذه ليست مجرد غفلة، بل هي غفلة جرمية. من خلال هذا الكتاب، الهدف هو أن نمنح هذه الشخصية العظيمة مكانتها الصحيحة والحقيقية في تاريخنا الوطني والإقليمي، وأن نضع الضوء عليها.

② المهلب – النموذج التطبيقي في السياسة الأصولية المبدئية

تتعدد جوانب شخصية المهلب التي يمكن أن تقدم لنا اليوم أصول التعايش المبنية على الهداية والإرشاد في حياتنا الاجتماعية، ومن أبرزها أنه قام بالحق والصدق وتأييدهما. فقد اعتمد المهلب الموقف الأصولي القوي بدلاً من العصبية والعلاقات بالشخصيات. حياتُه بأكملها كانت تُعبّر عن هذه المبادئ.

كما كان المهلب في عهد أمير المؤمنين معاوية، من أعوانه، لكن عندما بدأ الناس في بيعة يزيد، عارض المهلبُ، يزيدَ علانية بناء رأيه على أصول حياته ألا وهو "القيام بالحق والصدق"، ثم انضم إلى جيش عبد الله بن الزبير، وظل مؤيدًا ومساعدًا له حتى استشهاده.

③ المهلب- رمز الوحدة والتضامن بين العرب والعجم

نجد شخصية المهلب على مكانة فائقة في إزالة التميز والفرق بين العرب والعجم إلى حد كبير، حتى أن المهلب، رغم كونه من أصل عربي، كان يتمتع بعلاقات وثيقة مع الفرس القوية. بناء على هذه العلاقات قال بعض المؤرخين بأنه "من أصل فارسي". كان المهلب مسلمًا حقيقيًا عمليًا، ولم تكن أي مكانة عنده للفروق الشعبية أو اللسانية (كعرب وعجم) وغيرها من الفروق. كانت شخصيته نموذج متميز في خدمة الإسلام بدون التفريق والتفرق، كما كانت الشخصية علامة كبيرة لحفاظ السياسة والقضاء من أثرات منفية منتجة من التعصبات العرقية والشعبية.

④ المهلب- رمز القضاء على التطرف الديني والعدوانية

تُظهر شخصية المهلب معارضة فعلية للفتن الكبيرة للحكومات والمجتمعات الإسلامية كالتطرف الديني والتعصب العقدي. كان شخصيه رمزا عظيما في هذا المجال. وهو قام ضد فتنة الخوارج التي كاد أن ينتشر في المجتمع المسلم. بعد استشهاد عبد الله بن الزبير، لم يعارض المهلب حكومة بني أمية،

ولكن بعد وفاة عبد الله بن الزبير، استعمل المهلب قدراته في تقوية الدولة الإسلامية بدلاً من إضعافها، وقام بمساعدة الحجاج بن يوسف في عهد عبد الملك بن مروان، وأصبح من أهم أركان حكومية. في هذه الفترة، قضى المهلب على أهم وأقوى الفرق من الخوارج المتطرفة، وهم "الأزرقية"، وألحق بهم هزيمة قاسية بعد معركة استمرت **17** عامًا.

⑤ المهلب ـ علاقة مع البشتون

من الغريب أن الشخصية التي قادت الجيوش الأولى لنشر الإسلام إلى أفغانستان ومناطق خيبر بختونخوا، تمثل بصفات شخصية وخصائص بارزة نراها أيضًا في رجال أفغان والبشتون. ومن أهمها: الشجاعة، الجرأة، الشجاعة في مواجهة القوى الكبرى، الامتناع التام عن تقليد الأشخاص، التقييم الموضوعي للأوضاع السياسية، الإصرار على إحقاق الحق ورفض الباطل، والرفض التام للظلم والعدوان، والإصرار على الوقوف مع الحق. هذه هي الصفات التي تميز شخصية المهلب والتي نراها في كل مرحلة من مراحل حياته وأدواره. وبالتالي يتصف البشتون بهذه الأوصاف أيضًا.

⑥ المهلب ـ أهميته بالنسبة لباكستان وأهلها

إن دراسة مفصلة لتاريخ الإسلام تنتج على أن شخصية المهلب هي الشخصية الفريدة التي تربط بين العرب والعجم بشكل وثيق. هذه الشخصية المتميزة والفريدة التي يفتخر بها كل من أهل عمان، والإمارات العربية المتحدة،

وفارس، وأفغانستان، وباكستان بسبب ارتباطهم بها. وهكذا، تقدم شخصية المهلب نموذجاً تطبيقية على وحدة الأمة الإسلامية خارج دائرة الهويات القومية التي نشأت في القرن العشرين. إن صفاته وخصاله اليوم بحاجة ماسة إلى التنشير بها بين شبابنا.

في المجتمعات الأخرى، يعمل الأفراد أو المؤسسات التي تسعى لتقوية الأمة على خلق أبطال وهميين أو إعادة الحياة لشخصيات ضعيفة لكي تحقق الأهداف المطلوبة. لكن مصيبتنا هي أننا نسينا أبطالنا الحقيقيين، مثل شخصية المهلب بن أبي صفره، وهي مثال حي لذلك. وفي هذا السياق، يلفت إقبال رحمه الله الانتباه إلى هذا الجانب الوطني المأساوي في قصيدته الشهيرة:

خطاب إلى شباب الإسلام

کبھی اے نوجواں مسلم! تدبّر بھی کِیا تُو نے
وہ کیا گردُوں تھا تُو جس کا ہے اک ٹُوٹا ہوا تارا

- أيها الشباب المسلم هل فكرتم قليلاً
أي سماء تلك التي كنتم أنتم نجومها المحطمة ؟

تجھے اس قوم نے پالا ہے آغوشِ محبّت میں
کُچل ڈالا تھا جس نے پاؤں میں تاجِ سرِ دارا

- لقد ربتكم هذه الأمة في كنف المحبة
وهذه الأمة التي كفت تحت أقدامها تاج الملك داراً.

تمدّن آفریں، خلاّقِ آئینِ جہاں داری
وہ صحرائے عرب یعنی شتربانوں کا گہوارا
-هم الذين ابتدعوا الحضارة واخترعوا قوانين الحكم في العالم
وهذه الصحراء العربية موطن رعاة الإبل.

سماں 'الفُقْرُ و فَخرِی' کا رہا شانِ امارت میں
"بآب ورنگ وخال وخط چہ حاجت رُوے زیبارا"
- وكان ميراث (الفقر فخرى) عظمة الحكم عندهم،
فالوجه الجميل ليس بحاجة إلى الماء واللون والخال.

گدائی میں بھی وہ اللہ والے تھے غیور اتنے
کہ مُنعم کو گدا کے ڈر سے بخشش کا نہ تھا یارا
-إنهم عباد الله الغيورون رغم فقرهم،
حتى إن الغنى كان يخشى أن ينعم عليه الفقير.

غرض مَیں کیا کہوں تجھ سے کہ وہ صحرانشیں کیا تھے
جہاں گیر و جہاں دار و جہاں بان و جہاں آرا
- والخلاصة بماذا أخبرك عن أحوال ساكني الصحراء ؟!
كانوا فاتحى العالم وأصحاب الدنيا وحراس الكون وزينة العالم.

اگر چاہوں تو نقشہ کھینچ کر الفاظ میں رکھ دوں
مگر تیرے تخیّل سے فزوں تر ہے وہ نظّارا
- لو أرغب رسمت لكم هذه الصورة بالكلمات،
إلا أن هذه الصورة أعظم مما تتخيلون.

تجھے آبا سے اپنے کوئی نسبت ہو نہیں سکتی
کہ تُو گُفتار وہ کردار، تُو ثابت وہ سیّارا
- لا توجد أى نسبة بينكم وبين آبائكم،
أنتم تكلمون وهم يعملون، أنتم كسالى وهم نشطون.

گنوا دی ہم نے جو اسلاف سے میراث پائی تھی
ثُریّا سے زمیں پر آسماں نے ھم کو دے مارا
- لقد بددنا التراث الذي ورثناه عن الأسلاف،
وأنزلنا من السماء إلى الأرض.

حکومت کا تو کیا رونا کہ وہ اک عارضی شے تھی
نہیں دنیا کے آئینِ مسلَّم سے کوئی چارا
- ما جدوى البكاء على الحكم الضائع ؟ وكان شيئًا عارضاً،
فلا مناص من التسليم بقوانين الدنيا.

مگر وہ عِلم کے موتی، کتابیں اپنے آبا کی
جو دیکھیں ان کو یورپ میں تو دِل ہوتا ہے سیپارا

- إلا أن مؤلفات آبائنا هي جواهر العلم،
والذي اطلع عليها في أوروبا ينشرح صدره.

"غنی! روزِ سیاہ پیرِ کنعاں را تماشا کُن
کہ نُورِ دیدہ اش روشن کُند چشمِ زلیخا را"

- أيها الفتى عليك أن تعتبر باليوم الأسود شيخ كنعان،
فقد كان نور عينيه يضيء عيني زليخا.

ولذا، بهذا العمل المتواضع — في صورة الكتاب بين أيديكم— نأمل أن يتعرف الجيل الجديد، شبابنا الغيور اليوم، ومعمارو وطننا وأمتنا في المستقبل، على بطلنا الحقيقي والقائد العظيم أبو سعيد المهلّب بن أبي صفره... أن يعرفوه... يتعرفوا على شخصيته الفريدة ويستنبطوا من حياته إشارات الأصولية لرشدهم وأن يتعلموا منه ويستفيدوا من توجيهاته حسب الإمكان... ويجعلوا هذه المبادئ هدفًا لحياتهم ونصب أعينهم.

إن شخصية المهلّب بن أبي صفره تمثل مثالًا بارزًا لنا في الشجاعة، والذكاء، والإرادة القوية، والعمل من أجل وحدة الأمة. كما أن حياته نموذ ج للشاب في الجهد إلى علو كلمة الله، وللغلبة الإسلام على الدين كله. وهو رجل فريد الذي تميز فيه هذه الصفات العظيمة.

من أجل إحياء الأمة الإسلامية، نحن بحاجة إلى قيادة حكيمة، ذا بصيرة، وأصولية مثل المهلّب بن أبي صفره. ندعوا الله أن يوفق الأمة الإسلامية وخاصة بلادنا باكستان، بأن يهبها بطلًا عظيمًا مثل المهلّب بن أبي صفره. آمين

العبد الضعيف

القاضي الدكتور الشريف محمد أنور

الفصل الأول
التعريف بالمهلب وحياته الإبتدائية

الفصل الأول:
التعريف بالمهلب وحياته الإبتدائية

نسب المهلب واسمه وكنيته:

تراثنا التاريخي يذكر شخصيته وبالاحاطة يتضمن كتاب "طبقات ابن سعد"(المتوفى 230هـ) تعريفه الكامل والموثوق بنسبة مصادر أخرى، كما يلي:

المهلب بن أبي صفرة العتكي.
واسم أبي صفرة[1] ظالم بن سراق ويكنى المهلب أبا سعيد. ادرك عمر ولم يرو عنه شيئًا وقد روى عن سمرة بن جندب وغيره. وولي خراسان ومات بمرو الروذ سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان واستخلف على خراسان ابنه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فأقره الحجاج بن يوسف.[2]"

من خلال هذا التعريف المختصر، يتضح العديد من النقاط المهمة المتعلقة بشخصية المهلب:

أولاً، حيث النسب المهلب هو من أصل عربي، على الرغم من أن بعض المؤرخين المتأخرين قد ذكروا أنه من أصل فارسي بالصراحة أو حاولوا نسبه إلى غير العرب. وهو غير صحيح.

---

1 أي: أبومهلب كان اسم والده ظالم بن سراق

2 الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط العلمية، ج7، ص93

النقطة الثانية التي تدل عليها بيان" ابن سعد" في طبقاته هي أن المهلب لم يكن من الصحابة، كما ظن بعض المؤلفين. هو كان تابعيًا للرسول ﷺ. وقد نقل المهلب بعض الأحاديث عن سمره بن جندب وغيرهم، وسنذكر هذه الأحاديث في صفحات آتية – إن شاء الله.

التعارف التفصيلي للمهلب بن أبي صفره:

قدمه محمد بن إبراهيم بن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان وأبناء الزمان" (المعروف بتاريخ ابن خلكان). وقد بدأ ابن خلكان بتقديم نسبه، حيث ذكر أولاً والده "ظالم بن سراق"، ثم بيّن سبب كنيته بـ "أبي صفره" التي تعود إلى أن ابنته كانت تُدعى "صفره"، وكان يستخدم هذه الكنية نسبة إليها. بعد ذلك، أشار ابن خلكان إلى كتاب "المعارف" لابن قتيبة، موضحًا أنه لا يثبت لقاء المهلب مع الصحابي الجليل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما يدعى عليه بعض الروايات واقدي. ومن خلال هذا المرجع -كتاب ابن خلكان- يتضح بأنه يظهر الموافقة بأدلة ابن قتيبة وينفي رواية الواقدي.[1]

ابن خلكان يذكر كُنية والد المهلب وشجرة نسبه على النحو التالي:

كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى - واسمه ظالم بن سراق[2] بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الارث بن العتيك بن الأزد، ويقال الأسد

1 وفيات العيان وابناء الزمان: تاريخ ابن خلكان، نفيس أكادمي، كراتشي، باكستان، ج5، ص398

2 أي كان اسم واله ظالم بن سراق

بالسين الساكنة، ابن عمران بن عمرو مزيقياء ابن عامر ماء السماء بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، الازدي العتكي البصري.[1]

وقراءة هذا البيان حول شخصية المهلب ونسبه، يؤيد رأي ابن خلكان "طبقات ابن سعد" وكذلك يضيف بعض التفاصيل أيضًا، وهي كالتالي:

المهلب كان من أسرة عتكية من قبيلة الأزد.

قبيلة الأزد ما زالت تعتبر من أهم وأكبر القبائل التي تسكن في مناطق عمان والإمارات العربية، خاصة في المناطق المجاورة مثل الفجيرة والشارقة.

كما زاد ابن خلكان في ذكره سنة ولادة المهلب، التي كانت قبل سنتين من وفاة رسول الله ﷺ. وهذا يؤكد كونه تابعياً بشكل واضح، حيث ذكر ابن خلكان أنه كان صغيرًا عندما جاء مع والده للقاء الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[2] كما سنذكر في الصفحات الآتية لقاءه المثير جدًا عندما حضر المهلب أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

1 تاريخ ابن خلكان المعروف بـ *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، الجزء الخامس، صفحة **398**، الناشر: نفيس أكاديمي، كراتشي): من هذا التعريف المفصّل يتّضح بأن العرب كانوا يهتمون بعلم الأنساب بالدقة، حتى إنّ الاسم الكامل للشخص واسم والده وغير ذلك كان يُعطي تعريفًا كاملًا عن الشخص، من أي قبيلة، ومن أي أسرة، وفي أي منطقة، وإلى أي قوم ينتمي. كما يتّضح من ذلك مدى اهتمام المؤرخين المسلمين بالدقة في التحقيق والعبارات، والاحتياط في النقل. وهذا يُعدّ سِمة مميّزة لميراثنا العملي".

2 تاريخ ابن خلكان ج **5**، ص **396**

مولد المهلب ووفاته

قد يتم تحديد سنة ولاد المهلب موافقا لقول ابن خلكان، بأنها كانت قبل سنتين من وفاة النبي ﷺ، ووفاة الرسول ﷺ قد حدثت في سنة **632**م، الموافق للسنة **11**ه.

وبذلك، تكون سنة ولادته هي السنة **8** ه، الموافق لعام **629**م. هذه السنة تتوافق مع الأحداث التاريخية والشواهد أيضًا. حيث أن وفاة النبي ﷺ كانت في السنة **11**ه. ولفظه"سنتين قبل" يشير إلى فترة لا تزيد من ثلاث سنوات ولا تقل عن سنتين، لذلك نعتبر أن هذه الفترة تتوافق مع السنة **8** ه/ **629**م. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن تاريخ ولادة المهلب كان في **630**م. كما ذكر المحقق الدكتور سيد محمد طيب، الذي قام دراسة شخصية المهلب في رسالته على مرحلة دكتوراه من جامعة عليكر، الهند، أنه من الممكن أن تكون ولادته ما بين السنين **7** أو **8**ه.

ظلت شخصية المهلب مشعة كشمس الإسلام من سنة **629**م (**8** ه) إلى سنة **702**م (**82** ه).

وفي آخر عمره، قد عُين المهلب واليا على خراسان، حيث قاد جيشين على بخارى. ولكن بعد عودته، توفي في ديسمبر/يناير سنة **702**م (**82** ه) في قرية تابعة لـ مرو رود [1] المسمى بـ زاغول. [2]

---

1 كذلك تكتب ب "مروروذ"

2 اردو دائره معارف اسلاميه(موسوعة الإسلام بالأردية)، جامعه بنجاب، لاهور، ج **21** ص **902**

وقد قام العلامة حافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة"[1] ببيان جميع جوانب حياة المهلب بشكل مفصل ودقيق. كما قدم العلامة العسقلاني تعريفًا للمهلب ووالده، وشرح سبب كنيته بـ "أبي صفره".

روايات حول بيان كنيته بأبي صفرة:

والد المهلب الأمير المشهور، مختلف في صحبته وفي اسمه، قيل اسمه ظالم بن سارق، وقيل ابن سراف، وقيل قاطع بن سارق بن ظالم، وقيل غالب بن سراق.

ونسبه ابن الكلبيّ، فقال: ظالم بن سارق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، وزعم بعضهم أن أصلهم من العجم وأنهم انتسبوا في الأزد.

وذكره ابن السّكن في الصحابة،

وأخرج من طريق محمد بن عبد بن حميد، قال:

حدثنا محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، حدثني أبي، عن آبائه- أن أبا صفرة قدم على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم على أن يبايعه وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه دراعة «2»، وله طول وجثة وجمال وفصاحة لسان، فلما رآه أعجبه ما

1 علامه ابن حجر عسقلانی، الاصابة فی تمییز الصحابة، مکتب رحمانیة، ص204-

رأى من جماله، فقال له: «من أنت؟» قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم بن عمر بن شهاب بن الهلقام بن الجلند بن السلم الّذي كان يأخذ كلّ سفينة غصبا، أنا الملك بن الملك. فقال له النبي صلى اللَّه عليه وسلّم: «أنت أبو صفرة، دع عنك سارقا وظالما». فقال: أشهد أن لا إله إلّا اللَّه وأنك عبده ورسوله حقا.

حقا يا رسول اللَّه، إن لي ثمانية عشر ذكرا، ورزقت بنتا سميتها صفرة، فقال له النبي صلى اللَّه عليه وسلّم: «فأنت أبو صفرة».

ذكر عمر بن شبه فى أخبار بصره

أوفد عثمان بن أبي العاص وهو أمير البصرة أبا صفرة في رجال من الأزد على عمر، فسألهم عن أسمائهم، وسأل أبا صفرة، فقال: أنا ظالم بن سارق، وكان أبيض الرأس واللحية، فأتاه وقد اختضب، فقال: أنت أبو صفرة، فغلبت عليه الكنية.[1]

التعريف بـ دبا: مولد المهلب

وُلد أبو سعيد المهلب بن أبي صفره في سنة **629**م الموافق للسنة **8**هـ في منطقة دبّا بعمان، وهي منطقة تتمتع بأهمية خاصة في جوانب السياسية

1 العسقلاني، الإصابة فى تمييز الصحابة، ج **7** ص **204-205**.

والتجارية، وذلك نظرًا لموقعها الجغرافي التى تشتمل على حدود بحرية. ومن الناحية الجغرافية، تقع دبّا في أقصى الزاوية الشمالية للساحل على خليج العرب (الذي يُعرف أيضًا بخليج فارس)، وهي تقع عند مدخل الخليج. المياه البحرية المجاورة تُسمى "خليج عمان" (**Gulf Of Oman**) الذي يحده من الغرب عمان والإمارات العربية، ومن الشمال إيران وسواحل باكستان. يمكن فهم موقع دبّا بشكل أوضح من خلال الخريطة التالية.



(الخريطة، تبين موقع دبّا في الدائرة، حيث يمكن ملاحظة مركزيتها بوضوح عندما نأخذ بعين الاعتبار المنطقة التي تشمل باكستان، أفغانستان، إيران، عمان ومنطقة شبه الجزيرة العربية التابعة للمملكة العربية السعودية)

في زمن المهلب، كان سكان منطقة دبّا عمومًا مرتبطين بمهن مثل ركوب القوارب وصيد البحري. وبسبب القرب الجغرافي لخليج عمان من إيران، كان هناك علاقات وثيقة وطويلة الأمد بين أهل دبّا وأهل إيران. كان المهلب بن أبي

صفره من أسرة قبيلة الأزد ومن العرب الأصليين. ورغم ذلك، فقد قال بعض المؤرخين عن بسبب التحاملات الإقليمية والقبلية أو لسبب عدم تفهيم الحقائق بإنه كان غير عربي. إن الرأي القائل بأن المهلب كان غير عربي هو رأي غير دقيق ومرجوح. وقد اهتم العديد من الباحثين هذا الموضوع بالشرح والبحث. وفي رأينا، أرجح الأقوال في هذا الموضوع هو ما ذكرنا عن ابن حجر العسقلاني، في بداية هذا الكتاب.

دَبَّا هي مدينة قديمة بـ سلطنة عمان. كانت تعد من أهم المراكز التجارية وممراتها البحرية والبرية في الجزيرة العربية. وكذلك قد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان".

وفي عصسرنا الحاضر، ينقسم منطقة دَبَّا سياسيًا إلى ثلاثة أجزاء:

(1) دَبَّا الفجيرة: وهي جزء من إمارة الفجيرة.

(2) دَبَّا الحصن: وهي جزء من إمارة الشارقة.

(3) دَبَّا البيعة: وهي محافظة مسندم العمانية. هذا هو الجزء المهم الذي يمتد إلى الشمال على مدخل "هرمز المضيق" التي احدى الممرات الميائية المشغولة من ممرات الميائية العالمية.

كما أن موطن المهلَّب، مدينة دَبَّا، لها جوانب عديدة من جوانب سياسية ودولية تزيد أهمية المنطقة، فإن شخصية المهلَّب بن أبي صفرة كذلك نراه مشتملا على جوانب عديدة من صلاحيات شخصية ومن أهمها مهاراته فى العسكر وعلوه في العلم ولحكمة واتباعه لأصول الدين وتعليمات؛ وهذه السماة

تجعله شخصية شاملة.

والمزيد على ما ذكرناه، يزداد أهمية الموطن والمهلب بعلاقة موطن المهلَّب خلال ارتباطه بالوطن العزيز، باكستان. وفقًا للحدود البحرية التي وضعتها "المنظمة الهيدروغرافية الدولية" (**International Hydrographic Organization**) فإن خليج عمان من جهة لا حدود ملصقة بـ عمان والإمارات العربية المتحدة، ومن الجهة الأخرى ملحقة بـ إيران وباكستان. ونستطيع أن نقول بأن هذه المنطقة قريبة جدًا من بلدنا وبالخصوص مدينة "جوادر" بحيث يمكن رؤيتها من جبال جوادر باستخدام المنظارات.



(من خلال صورة الأقمار الصناعية لهذه المنطقة، يمكننا أن نرى مدى قرب دبا من جوادر وبسني)

لكن اليوم، لا نستفيد من هذه القربة من من ناحية البحرية كما كان

الناس قد استفادوا منها منذ قرون. شخصية المهلّب بن أبي صفره ينبهنا إلى أننا قد تجاهلنا كليةً سوقًا تجاريًا بارزاً. لا يوجد أي منطقة أخرى على وجه الأرض غير هذه المنطقة الاقتصادية الفريدة المميزة (**Exclusive Economic Zone**)حيث تلتقي وتجتمع فيها البلاد الفارسية، والعربية، والباكستانية. فالآن، علينا أن نضع الخطط والمناهج المستقلة التأصيلية حول كيفية الاستفادة من هذا الممر البحر المهم بالخصوص في في ميديان التجارة، هي مسؤولية فطرية بمقابل هذه النعمة الجغرافية على عاتكنا.



(تُظهر هذه الخريطة منطقة عمان البحرية التي سميت بـ"المنطقة الاقتصادية الخالصة (EEZ) "والتي تبين لنا كيف ومدى يمكن استفادتهم التجارية منها بمشاركة الدول المجاورة وباكستان في هذه المنطقة)

قبيلة الأزد أيضًا معروف باسم "الأسد" و"الذعر"، ويعود نسبها إلى الأزد بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. ويعتبر "أسد" اسم الجد من قبائل اليمن، وقد اشتهرت القبيلة النسبة إلى هذا الجد. كما يُطلق عليه "أزد" و"ازد شنوءة". جميع الأنصار في المدينة المنورة -على صاحب الصلاة والتسليم- كانوا من منتمين بهذه القبيلة.

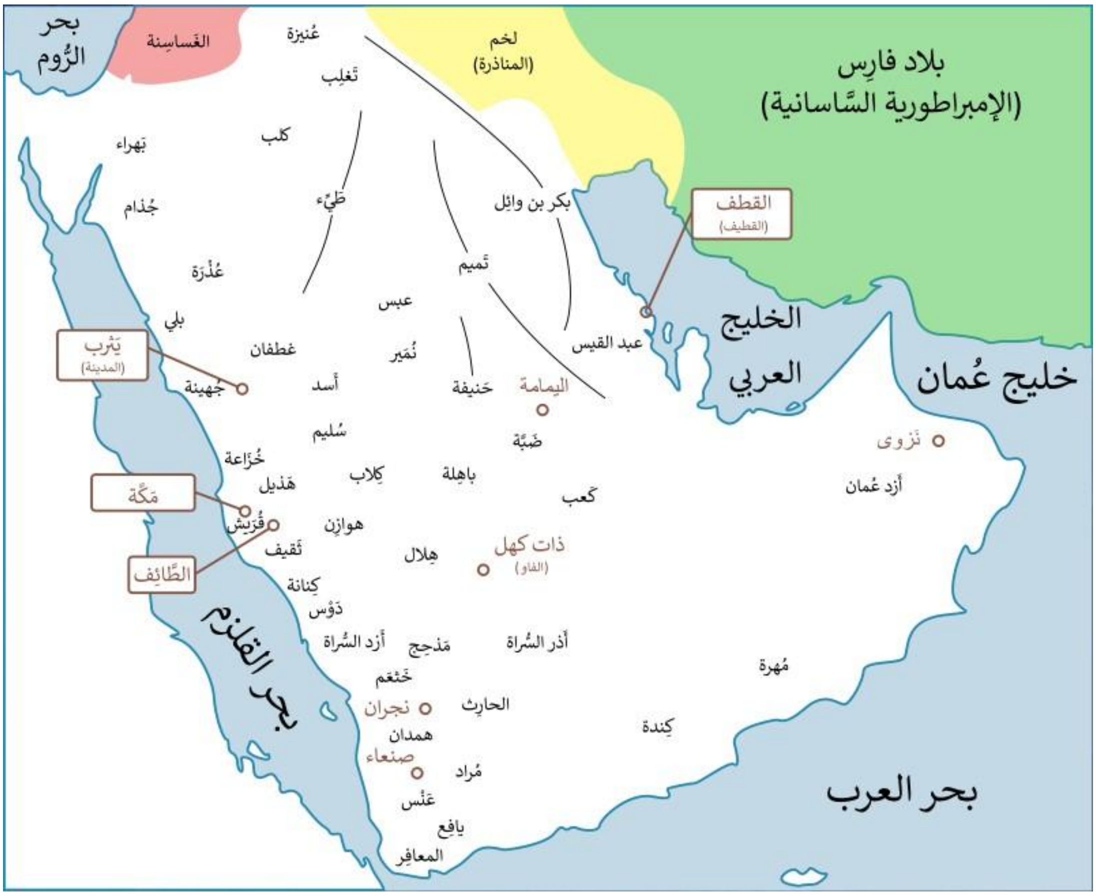
كانت قبيلة "أزد" أحد فروع قبيلة كهلان (بني قحطان)، وكان لبني قحطان فروع أخرى مثل قضاعه وكهلان وحمير. وكانت من فروع الأزد الرئيسية:

(1) ازد شنوءة أو أزد شنوَّة

(2) أزد سراة،

(3) أزد غسان، و

(4) أزد عمان. كان أفراد أزد شنوءة وأزد سراة يسكنون بـ تهامة وعسير. كانت قبائل الأزد ساكنين في محافظة "عسير" بالمملكة العربية السعودية حيث تقع اليوم مدينة "أبها" الشهيرة.



(تُظهر هذه الخريطة موطن كل قبيلة موجودة في شبه الجزيرة العربية في وقت ظهور الإسلام)

قبيلة الأزد العمانية في حضرة الرسول ﷺ

بعد فتح مكة، حضر وفد من الأزد إلى جناب الرسول ﷺ المشتمل على سبعة رجال. وقد أعجب النبي ﷺ بمظهرهم وبلاغتهم. وكان بينه ﷺ وبينهم مكالمة مشتملة على الدروس المهمة تشهد مكانة الأزد الأخلاقية النفيسة. قد نقل هذا في كتاب معرفة الصحابة وغيرها:

فقال ﷺ: «ما أنتم»؟

قلنا: مؤمنون.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم."

قلنا: خمس عشرة خصلة؛

خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها،

وخمس أمرتنا أن نعمل بها،

وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا.

فقال رسول الله ﷺ: "ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟"

قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.

قال ﷺ: «وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟.«

قلنا: أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا.

فقال ﷺ: "وما الخمسة الذي تخلقتم بها في الجاهلية؟"

قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضى بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال رسول الله ﷺ: "حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء".

ثم قال: «وأنا أريدكم خمسا فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون،

فلا تجمعوا ما لا تأكلون

ولا تبنوا مالا تسكنون

ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا تزولون

واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون

وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون."

فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته، وعملوا بها.[1]

توصيف قبيلة أزد من لسان الرسول ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الأَزْدُ أَزْدُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُ النَّاسُ أَنْ يَضَعُوهُمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَهُمْ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ الرَّجُلُ: يَا لَيْتَ أَبِي كَانَ أَزْدِيًّا يَا لَيْتَ أُمِّي كَانَتْ أَزْدِيَّةً"[2]

قبيلة أزد نسبتها إلى الله كانت إما لتعريفهم بلقب أو من باب أن أفراد هذا القبيلة كانوا بمثابة جيش الله، مشغولين في كل حين في حماية ونصرة دين الله ورسوله، مما يدل عليه شرفهم وفضلهم وأوصافهم، لذلك نسبت قبيلتهم إلى الله. وهناك قول آخر بأن "أزد الله" في الواقع تعني "أسد الله" (أسد الله) أي أن أفراد قبيلة أزد كانوا في الميادين والمعارك يظهرون شجاعة وبسالة كأنهم أسود.

عبارة "يا ليت أبي كان أزديّا" تعني أن قبيلة أزد كانت في لها مكانة رفيعة جدًا، وكان أفرادها يتمتعون بمقام عظيم، حتى أن أفراد القبائل الأخرى كانوا

---

1 علامة ابن القيم، زاد المعاد(587 / 3)

2 اخرجه الإمام الترمذي في السنن، ج5، ص 727، حديث رقم 3937- وقال الإمام: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَوْقُوفًا وَهُوَ عِنْدَنَا أَصَحُّ

يشعرون الحسد والتنافس تجاههم ويتمنون لو أنهم كانوا ينتمون إلى هذه القبيلة.[1]

قد روي فضل قبيلة أزد في رواية مسند أحمد على النحو التالي:

عَنْ اَبِىْ هُرَيْرة قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((نِعْمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَة أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّة أَيْمَانُهمْ، نَقِيَّة قُلُوبُهمْ-))[2]

المهلب وأسرته وأولاده:

كان للمهلب زوجتان، إحداهما تسمى خيرة القُشَيْرِيَّة، والأخرى تسمى باهية وكانت من مناطق الهند.

وكان للمهلب أحد عشر ابناً وبنت واحدة، وأسماؤهم على النحو التالي:

(1) عبدالمالك	(2) حبيب	(3) مروان
(4) مدرك	(5) مفضل	(6) محمد
(7) المغيرة	(8)قبيصة	(9)يزيد
(10)زياد	(11) العُيينة	(12) هند(بنته)

التعارف بأولاد الملهب الشهيرة:

اهتم المهلب بتربية أولاده اهتماماً بالغا شاملاً. تربيته نتجت على أن جميع أبنائه كانت تعد من القائدين العسكريين البارزين في جانب، و في جانب آخر

1 مظاهر الحق شرح على مشكاة

2 مسند أحمد، حديث رقم : 12558

كانوا من الزعماء السياسيين الذين وصلوا إلى مناصب عالية. من بين هؤلاء، نقدم تعريفاً مختصراً عن بعضهم. من خلال هذا التعريف المختصر لأبناء المهلب، سنتمكن من إدراك تأثير أسرة المهلب في تاريخ الإسلام-العسكرية والسياسية والإدارية- وخاصة في العصر الأموي، من المشرق إلى حدود المملكة الشرقية. والحق أن هذا التأثير لا يزال موجود في مناطقة مختلفة بشكل واضح. التأثيرات الأسرة المهلب مر الأدوار وهذه الخلفية المختصرة عن الأسرة، تظهر لنا قوة المهلب بن أبي صفره الشخصية التي هي أصل لكل أثر تركها أبناء الأسرة.

1. حبيب بن المهلب الأزدي (متوفى سن 702ء)

كان حبيب شجاعًا مثل والده، وكان حسب تاريخ الطبري قد شارك في عدة حروب إلى جانب والده، وخاصة في حملات المهلبيين ضد الخوارج الأزرقية التي جرت في الأعوام **686**م و**695**م في البصرة ومنطقة الأهواز في خوزستان ومناطق فارس. وبعد أن تم القضاء على الأزرقية في عام **697**م، شارك حبيب مع والده في حملة كُش في عام **700**م. ثم عندما بدأ المهلب في الاحتضار عام **702**م، كان حبيب حاضراً عنده أثناء وصيته. بعد ذلك، أصبح حبيب داعماً ومساعداً لإخوانه يزيد ومفضل. عندما وقع المهلبيون تحت طائلة انتقام الحجاج بن يوسف بعد وفاة المهلب بن أبي صفره، تم القبض على حبيب وتعرض للعقوبات حتى منح الخليفة الأموي الوليد المهلبيين العفو العام. بعد وفاة الخليفة الوليد، استعاد المهلبيون مكانتهم في الدولة الأموية، وفي عام **715**م،

عندما تولى الخليفة سليمان الخلافة، أصبح المهلبيون أصحاب نفوذ وقوة من جديد، وتم تعيين حبيب بن المهلب الازدي والياً على السند. وكان السند قد تم فتحه حديثاً على يد محمد بن قاسم. وكان حبيب قد أمر محمد بن قاسم بمواصلة تقدمه، فتمكن محمد بن قاسم من فتح مدينة "أورود" التي تقع على الضفة الغربية لنهر السند. وبعد وفاة الخليفة سليمان في عام **717**م، تعرض المهلبيون مجددًا للانتقام، وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بالقبض عليهم. في عام **720**م، وبعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، هرب يزيد بن المهلب من السجن، وكان حبيب في البصرة وقتها. تحالف حبيب مع إخوانه مفضل ومروان وعبد الملك واحتلوا البصرة، ثم دعموا يزيد في تمرده ضد الخليفة. وفي النهاية، في عام **720**م، قُتل حبيب ويزيد، ابنا المهلبي، في معركة العقر على يد الجيش الأموي.[1]

2. يزيد بن ابي صفرة: (من سنة 672ء إلى 720ء)

كان المهلب والي خراسان عند وفاته في عام **702**م، وبعد وفاته تم تعيين ابنه والياً على خراسان، ولكن في عام **704**م تم عزله. أمر الحجاج بن يوسف بسجنه، حيث ظل في السجن حتى تمكّن من الفرار في عام **708**م. بعد فراره، لجأ إلى أحد أبناء الأمويين، سليمان بن عبد الملك، في فلسطين. عندما أصبح سليمان بن عبد الملك خليفة في عام **715**م، عيّن يزيد بن المهلب واليًا على

1 تاريخ الطبرى ج**6**، ص **448**

العراق. وهكذا أصبح يزيد بن المهلب أقرب شخص إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، وكان جزءًا من كل حملة ناجحة للخليفة في الشرق. خلال هذه الفترة، كانت علاقاته مع الحجاج متوترة للغاية. بعد وفاة سليمان بن عبد الملك، قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بإعادة القبض على يزيد بن المهلبي. ولكن بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، هرب يزيد مرة أخرى من السجن. ورغم أن الخليفة عفا عن يزيد بن المهلبي، إلا أنه استمر في معارضة الخليفة.

3. مدرك بن المهلب بن ابي صفرة:

ظل هذا الشخص وفيًا للخلفاء الأمويين عبد الملك وسليمان بن عبد الملك، وأثناء فترة ولاية أخيه مفضل على خراسان، كان هو دائمًا يدًا بيد مع أخيه.

4. مفضل بن المهلب بن ابي صفرة: (متوفى سنة 704م)

تم تعيين مفضل واليًا على خراسان من قبل بني أمية في عام **704**م، وخلال هذه الفترة فتح مدن بادغيس، إخران، وسومان (دوشنبه) في أفغانستان. قام الحجاج بن يوسف باعتقال أبناء المهلب الأربعة: مفضل، يزيد، حبيب، وعبد الملك، حيث فر الأربعة في عام **708**م من السجن وهربوا إلى فلسطين للجوء هناك.[1]

كانت إحدى زوجات المهلب، التي كانت من الهند واسمها باهية، هي والدة

1 تاريخ الطبرى، ج 6، ص 448، 547

مفضل.

5. المغيرة بن المهلب

عن المغيرة بن المهلبي، ذكر في "البداية والنهاية" (الجزء **9**، ص **65**) أنه كان من أبناء المهلب الأكثر سخاء وشجاعة، وكان له العديد من القصص المشهورة. وقد مدح ابن خلكان المغيرة في تاريخه قائلًا:

> "ومن بين أبناءه الأبطال كان أبو فراس المغيرة، وكان والده يقدمه في المعركة ضد الخوارج، وقد أظهر المغيرة شجاعة كبيرة في المعارك التي خاضها، مما أبرز قوته وبسالته. وقد جاء مع والده إلى خراسان، وكان نائبًا له في "مرو الشاهجان"، وتوفي هناك في شهر رجب سنة 82 ه أثناء حياة والده".

عند تعيين المغيرة، تحدث المهلب عنه قائلاً العديد من الأوصاف المديحية.

عدّ ابن الأثير ابنه المغيرة بن المهلب من أبناء الذين اشتهروا بالجود والكرم والشجاعة وغيره من الأوصاف الحميدة. وقصصه كانت مشهورة فيما بين الناس- يقول ابن خلكان عنه :

> ومن سراة أولاده أبو فراس المغيرة، وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج، وله معهم وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته، وتوجه

صحبة أبيه إلى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان، وتوفي بها في حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين في شهر رجب.[1]

خطاب المهلب عند تعيينه كنائب له:

عند تعيين المغيرة، خطب المهلب في حقه وبين العديد من الأوصاف الحميدة في شخصية المغيرة. وخطابه كان يشتمل على الكلمات التالية:

"إني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقّة ورحمة، وابن كبيركم طاعة وبرّا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة، فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم، فو الله ما أردت صوابا قط إلا سبقني إليه"[2]

6. قتيبة بن المهلب

اشتهر ابن المهلب هذا في تاريخ الإسلام بشجاعة وعبقرية حفيديه مع فتوحاتهما الكبيرة في ميادين العسكرية وهما: (1) روح بن حاتم بن قبيصة و(2) يزيد بن حاتم بن قبيصة. و تفاصيل إنجازاتهما وفتوحاتهما متوفرة في كتب تاريخ الإسلام.[3]

---

1 ابن خلكان ج5، ص 354 تا 355

2 أبو العباس المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 239): .

3 يراجع للتفصيل إلى كتب وفيات الأعيان، ج2، ص 305، وإلى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 7، ص 104.

7. هند بنت المهلب

كانت هند بنت المهلب ابنة المهلب هي زوج الحجاج بن يوسف. بعد وفاة المهلب، عندما زادت الاختلافات السياسية بين الحجاج وأبناء المهلب، سجن الحجاج أبناء المهلب، حيث تعرضوا للتعذيب الشديد. لم ترض هند بنت المهلب على هذا الظلم على إخوته، فطلبت الطلاق من الحجاج بن يوسف. كانت هند بنت المهلب امرأة ذات شخصية قوية، وكانت تابعية للرسول ﷺ. وقد رُويت رواية عن أبيها، أبي صفره، كما يلي:

الرواية::

" -حدثنا عبدالله بنن الحسن الحرانى قال: نايزيد بن المروان الخلال قال: نا زياد بن عبدالله القرشى قال: دخلت على هند بنت المهلب بن ابى صفرة وهى امرأة الحجاج بن يوسف وبيدها مغزل تغزل به، فقلت لها : تغزلين وأنت امرأة اميرا؟ فقالت: سمعت أبى يحدث،عن جدى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اطولكن طاقة اعظمكن اجرا،"[1]

من هذه الرواية نستطيع أن نستنتج أهتمام المهلب بتربية ابنته بشكل متميز. ظهر أثر تربيته عندما كانت أميرة وزوجة والي ورغم ذلك كانت تفضل أن تعمل

1 معجم الاوسط، حديث نمبر: 4345- يقول الإمام الطبراني لَمْ يُسْنِدْ أَبُو صُفْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا، وَلَا يُرْوَى عَنْهُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: يَزِيدُ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْمُ أَبِي صُفْرَةَ سَارِقُ بْنُ ظَالِمٍ " (المعجم الأوسط (4/ 330))

بيدها وتفتخر بذلك طول حياتها. والأهم من ذلك أنها كانت تفعل ذلك لأنها سمعت من والدها أن النبي ﷺ قد بيّن فضل العمل باليد. وقد قام أبوه بـ نقل هذه الأخلاق النبوية كإرث وتوجيه لأبنائه وبنته، وكان لهذا الأعمال أجراً عظيماً في الحقيقة.

المهلب وعلاقات الأسرية

لقد قام المهلب بإتمام زواج أولاده بعناية شديدة، حيث كان يضع في اعتباره الأمور القبلة والسياسية عند اختيار العلاقات الصهرية لأولاده. وكان أهم هذه هو زواج ابنته من الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان واليًا وركنا مهما في حكومة بني أمية. كما أن المهلب قد قام بزواج معظم أبنائه بناءً على تأثيرات قبلية وسياسية.

المهلب كـ راوي الأحاديث

كما بينا أن شخصية المهلب كانت لها العديد من الجوانب والفضائل، إلا أن أبرز وأهم مرتبة في ناحية دينية في شخصيته هو أنه كان من التابعين لصاحبة النبي ﷺ. ولذلك، بعد التعريف بشخصية المهلب، سنركز أولاً على هذا الجانب من شخصيته. هناك عدد قليل من الأحاديث المروية عن المهلب، وفيما يلي نذكر الأحاديث التي وردت عن أبي سعيد المهلب بن أبي صفره في كتب الأحاديث المختلفة.

المرويات عن المهلب بن أبي صفرة

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنْ بُيِّتُّمْ، فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ: حٰم لَا يُنْصَرُونَ". [1]

نقل ابن الأثير مثل هذه الرواية في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة بألفاظ مختلفة، وهي كا التالي:

أخبرنا إبراهيم بن محمد، وغيره، بإسناده عن أبي عيسى، حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن المهلب بن أبي صفرة، قال: حدثني من سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " إن بيتم الليلة فليكن شعاركم: حم، لا ينصرون." أخرجه ابن منده، وأبو نعيم [2]

وراية الترمذي في هذا الموضوع كا التالي:

"حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، عَمَّنْ سَمِعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " إِنْ بَيَّتَكُمُ العَدُوُّ، فَقُولُوا: حم لَا يُنْصَرُونَ ": وَفِي البَاب عَنْ

1- سنن ابى داؤد، حديث رقم، **2597**، سنن الترمذى، كتاب الجهاد، حديث رقم: **1682-** وكذا فى كتب: عمل اليوم والليلة (**617**)، ومسند احمد (**4/65**، **5/377**) وفي تحفة الأشراف: **15679**، وغيرها من الكتب-

2 ابوالحسن على الجزررى ابن اثير، أُسد الغابة فى معرفة الصحابة،، ج**3**، ص**1020**-

سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، وَهَكَذَا رَوَى بَعْضُهُمْ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ مِثْلَ رِوَايَةِ الثَّوْرِيِّ، وَرُوِيَ عَنْهُ عَنِ المُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُرْسَلًا"-[1]

رواه الطياسي رواية عنه، حول الصلاة، وهي حسب التالي:

" حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ يَخْطُبُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ:نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ أَوْ عَلَى قَرْنَيْ شَيْطَانٍ"[2]

نقل الطبراني عنه رواية في كتابه المعجم الاوسط:

"حدثنا موسى بن هارون ثنا احمد بن حفص حدثنى أبى ثنا ابراهيم بن طهمان عن الحجاج بن الحجاج، عن قتادة، عن عمر بن سيفٍ، عن المهلب بن أبى صفرة، عن

1 - ترمذی، السنن، حديث رقم: 1682 / ج4، ص 197، سنن ابى داود/ الجهاد 78 (حديث رقم 2597)، (تحفة الأشراف: حديث رقم : 15679)، و مسند احمد (289/4) (صحيح)

2 - مسند الطيالسى: حديث رقم: 938- ووفقًا للإمام الطيالسي، فإن الحديث صحيح. وقد نقلها أيضًا ابن أبي شيبة في الجزء الثاني، الصفحة 349. أما في معجم الطبراني، فقد وردت نفس الرواية في الحديث رقم 6974 في 'المصنف'.، وردت الرواية نفسها في مسند أحمد بن حنبل تحت الرقم 20239. إلا أن الطبراني نقل الحديث رقم 6973 عن طريق شعبة، وفيه زيادة بلفظ 'غروب الشمس'. وقد ورد هذا أيضًا في مسند أبي داود الطيالسي، الجزء الأول، الصفحة 624".

> عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:
> تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيتُ
> معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، يكون لها
> ماسقط منهم، وتخلّلف تسوقهم سُوق الحمل الكسير"-[1]

المهلّب بن أبي صفرة، تعد من الرواة الثقات. ذكره الإمام الذهبي في كتابه "ميزان الاعتدال"، وعده من الثقات. وقد نقل الذهبي في هذا الكتاب طرق رواياته وكذلك ذكر آراء المحدثين عن توثيقه في نقل الروايأت بقوله:

> يقال له ابن أبي حبيبة. قال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكرا فأذكره. ووثقه الامام أحمد، وأبو داود، وابن حبان. وروى عنه سعيد بن أبي عروبة، ويحي بن سعيد.- [2]

المهلب وبغض الخوارج به:

في كتب التراث العربي، توجد بعض أشعار الخوارج تتضمن ذكر المهلّب بأنه كاذب، وهذه الاتهامات لها سبب تاريخي عسكري للمهلب. حيث قام المهلّب بتأصيل-الخوارج بشكل أقوي، وقاتلهم بشجاعة واستقامة، حتى إنه حصل الفتوحات على أقوى قبيلة من الخوارج -الأزارقة- بعد معركة استمرت 17 سنة. ومن هذه المعركة يمكن لنا تفهيم اتهامات على المهلب لتشويه سمعته

---

1 المعجم الأوسط، للطبرانى، حديث : 8092

2 امام شمس الدين الذهبى، ميزان الاعتدال(197 /4)

واتهامه بالكذب. وقد نقل البلاذري هذا السبب بشكل واضح في الكتاب حسب التالي:

قال ابن قتيبة في المعارف : ولم يكن يعاب بشيء إلا بالكذب وفيه قيل: راح يكذب،[1] ثم قال ابن قتيبة بعد هذا: وأنا أقول: كان المهلب أتقى الناس لله عزوجل، وأشرف وأنبل من أن يكذب، ولكنه كان محرباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة، وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها من غيرها، يرهب بها الخوارج، وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون: راح يكذب، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حرباً ورى بغيرها. "[2]

وقال أبو العباس المبرد في الكامل: في شرح أبيات رمي فيها المهلب بالكذب، ما صورته: وقوله الكذاب لأن المهلب كان فقيهاً، وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله " كل كذب يكتب كذباً إلا ثلاثة: الكذب في الصلح بين الرجلين، وكذب الرجل

---

1 ابن قتيبه، المعارف (1/ 399)

2 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص 352

لا مرأته يعدها، وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد".[1]

المهلب كـ خطيب حماسي :

كان المهلب من الخطباء الذين يشجون على القتال من خلال بيان مزايا جنوده وأوصافه وإبراز نقاط ضعف الأعدا وغيرهما من الأساليب. كان المهلب من خلال خطبه يركز على تشكيل وتوجيه فكري لجيشه وتحديد مساراتها. ويُعتبر ذلك جزءًا مهمًا من أساليب الحرب النفسية في الماضي وله أهمية في يومنا هذا. كما أن بث الخلافات والاضطراب النفسي في صفوف العدو يعد هدفًا أساسيًا لأي قائد، فإن القائد مثل المهلب كان على علم تام بـ أهمية غرس الوعي الصحيح في صفوفه عن العدو وأهدافه. يساعد هذا الوعي في رفع معنويات الجنود وتعزيز إرادتهم. في الحرب الطويلة والصعبة ضد الخوارج، كان المهلب يولي اهتمامًا خاصًا بأن يبقي جيشه على دراية بعقائد الخوارج الفاسدة ونواياهم الخبيثة، حتى لا يقعوا في أي التباس فكري. استمر المهلب في إلقاء خطب بين عوامه ومؤيديه بناءً على هذه الاستراتيجية، مما يضمن تحفيزهم وتحذيرهم من العدو. يتجلى هذا الأمر في أحد أشهر خطب المهلب.

"يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وانهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دماءكم. فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم. علي بن ابي

---

1 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص 352-

المبر، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص 228

طالب صلوات الله عليه.فلقد لقيهم قبلكم. الصابر المحتسب مسلم بن عبيس. والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله. والمعصي المخالف حارثة بن بدر فقتلوا جمعياً. وقتلوا فألقوهم بجد وحد. فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص في أحسابكم وأديانكم ان يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويوطئوا حريمكم.[1]

الخطابة، وخاصة الخطب الحماسية، هي خصوصة لقبائل العربية من بداية تاريخها. لقد كان العرب دائمًا يفتخرون ببلاغتهم، وفصاحتهم، وكان لهم الحق في ذلك لأسباب عدة. ولكن عند الحملات أو الدفاع الوطن تزداد أهمية هذه الصلاحية وتعد في العصر الحاضر كفن من فنون الحرب، ويهتم به الجيوش حتى ضمن مراحل التربية يستعملونها للتحريك والتحريض. كما أن المهلب استغل هذه المهارة والفن بشكل كامل لتحقيق النتائج من معاركه.

خطبات الحماسية للمهلب هي حسب التالي

والله ما بكم من قلة. وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع. فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله. فسيروا الى عدوكم على بركة الله.[2]

---

1 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 227)

2 المبرد، الكامل في اللغة والأدب» (3/ 229):

فحمد اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإن اللَّه ربما يكل الجمع الكثير إِلَى أنفسهم فيهزمون، وينزل النصر عَلَى الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري مَا بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم، فإنهم لو كَانُوا فيكم مَا زادوكم إلا خبالا عزمت عَلَى كل امرئ مِنْكُمْ لما أخذ عشرة أحجار مَعَهُ، ثُمَّ امشوا بنا نحو عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وَقَدْ خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، فو الله انى لأرجو الا ترجع إِلَيْهِم خيلهم حَتَّى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم [1]

إني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقّة ورحمة، وابن كبيركم طاعة وبرّا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة، فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم، فو اللّه ما أردت صوابا قط إلا سبقني إليه [2] .

1 تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، ج5، ص 619
2 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 239):

إنا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد، ولكن دمغ الحق الباطل، وقهرت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى، وكان ما كرهناه من المطاولة خيراً مما أحببناه من العجلة.[1]

المهلب كشخصية متفائلة:

كانت حياة المهلب مليئة بالمهمات العسكرية ومواجهات العدو. إذا نظرنا إلى صعوبات السفر في تلك الفترة وقارنناه بأحوال اليوم وسهوليات السفر الموجودة، فإن العقل قد يتعجب بأن كيف استطاع رجل واحد بقام حملات في مناطق بعيدة ووسيعة كفاتح، ومن المؤكد أنه مواجهة الأعداء القوية في كل حملة. وفي أي لحظة من حياته لم يظهر عليه أي ضعف أو تراجع-بقى على قوته واستعداده في كل وقت. شخصيات مميزة مثله تظهر نادراً في التاريخ. كانت صفات الشجاعة والبطولة واضحة في شخصية المهلب، بالإضافة إلى هذه الميزة الفريدة أصبحت قدرته على إيجاد الجانب الإيجابي في أصعب المواقف ميزة أخرى في شخصيته. هذه هي الصفات التي يُطلق عليها "التفاؤل"، أي أن كلمات اليأس والهزيمة لم تكن موجودة في قاموسه. يظهر هذا الجانب من شخصيته في كل إنجازاته، وكذلك في شعاراته وأشعاره وأشعار المفضلة عنده. في إحدى المعارك، عندما فقد المهلب إحدى عينيه بسبب جرح السهم، بدلاً من أن يشعر

1 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 289).

بالضعف أو الخوف أو اليأس، أظهر بالشكر وكأنه قال فلله الحمد بأن العين ضاعت والحياة باقية ومحفوظة. كانت هذه هي الإرادة والفكرة التي ما دعت إلى انكسار العزائم. وقد عبر المهلب عن هذه الفكرة في أشعاره بهذه الطريقة:

"المهلب يقول":

لئن ذهبت عيني لقد بقين نفسي
وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي

إذا ماجاء أمر الله أعيا خيولنا
ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس [1]

أقوال المهلب الذهبية :

1. العيش كله في الجليس الممتع.[2]

2. "الحياة خيرٌ من الموت، والثناءُ الحسنُ خيرٌ من الحياة، ولو أعطيت ما لم يعطه أحدٌ لأحببتُ أن تكون لي أذنٌ أسمع بها ما يقال في غدٍّ إذا مِتُّ"».[3]

---

1 وفيات الاعيان، ابن خلكان ج 5، ص 353

2 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (1/ 190):

3 أحمد زكي، «جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة» الناشر: المكتبة العلمية بيروت-لبنان (2/ 286):

3. عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه.[1]

4. خير المجالس ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس. [2]

5. قال المهلب لبنيه: يا بني لا يقعدن أحد منكم في السوق، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلى زرّاد أو سرّاج أو ورّاق.[3]

6. يعجبنى أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبنى أن أرى لسانه زائداً على عقله- [4]

7. لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به[5]

---

1 الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، «السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير» (3/ 308)

2 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (1/ 142):

3 ابن قتيبة الدينورى، عيون الأخبار، ج1 ص 212

4 علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ – ص 551

5 راغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - المجلد 1 - الصفحة 47 -جامع الكتب الإسلامية.

8. اناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت.[1]

9. كان المهلب يقول لبنيه: يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم.[2]

10. قيل للمهلب: بم أدركت ما أدركت؟ قال: بالعلم، قيل له: فإن غيرك قد علم أكثر ما علمت ولم يدرك ما أدركت، قال: ذلك علم حمل، وهذا علم استعمل-[3]

11. قيل للمهلب: بم نلت ما نلت- قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى.[4]

12. قال المهلب لبنيه: إذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فإن الناس للسلطان أهيب من للقرآن.[5]

13. أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسمان ما أسِرّ إليه.[6]

---

1 شهاب الدين الأبشيهى، المستطرف فى كل فن مستطرف، ج1 ص309

2 ابن شمس الخلافة، الآداب النافعة بالألفاظ المختارة ا، ص4

3،لابن عبد ربه، العقد الفريد ج2 ص77

4 علامة ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين - ط العلمية، ص184

5 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (1/ 214):

6 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (2/ 232):

14. إن من البلية أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره.[1]

15. من عجز عن جباية الخراج وهو عن قتال العدو أعجز.[2]

16. كان المهلب يقول لبنه: لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم، فيبغُوا عليكم فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم.[3]

17. قيل للمهلب ما تقول في العفو والعقوبة، قال : هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت.[4]

1 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 268):

2 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 263):

3 المبرد، «الكامل في اللغة والأدب» (3/ 271):

4 موسوعة الأخلاق الإسلامية، جموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433 هـ ج1،ص 436

الفصل الثاني
بداية حياة المهلب العسكرية

الفصل الثاني :
بداية حياة المهلب العسكرية

طفولة المهلب ورؤية عمر بن الخطاب ﵁ :

المثل "پوت کے پاؤں پالنے میں" في اللغة الأردية يعبر عن فكرة أن بعض الأشخاص يظهر تميزهم وصفاتهم الحميدة منذ الصغر، بحيث يمكن لأصحاب البصيرة التنبؤ بمستقبلهم العظيم بمجرد لمحة. وهذه الفكرة ترتبط بحالة المهلّب بن أبي صفرة، حيث كان يظهر منذ صغره سمات عظيمة في شخصيته. أما فيما يتعلق بـ المهلّب بن أبي صفرة الذي كان تحمل شخصيته الأوصاف التي ماكان من الممكن اخفاؤه عن أهل البصيرة. وهو من المحال أن يكون المهلب أَمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاروق بين الحق والباطل ولا يظهر أوصاف المهلب عليه. نقل المؤرخون بأن المهلّب عندما جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع إخوته إلى خدمة الخليفة عمر، مع إخوته السبعة، تحت رعاية أبيه. فالخليفة عمر رضي الله عنه كان يملك بصيرة عميقة في التفريق بين الحق والباطل، وبين الأشخاص الذين يحملون صفات قيادية عظيمة منذ طفولتهم.

روى الإمام ابن حجر العسقلاني رواية عن أبي عمر وعن جعفر بن سليمان متضمنا وفوده إلى سيدنا عمر ﵁ وهي حسب التالي:

> وقال أبو عمر: كان أبو صفرة مسلما على عهد النبي صلى
> اللَّه عليه وسلّم، ولم يفد عليه، ووفد أبو صفرة على عمر

بن الخطاب ومعه عشرة من ولده، المهلّب أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم ويتوسّم، ثم قال لأبي صفرة: هذا سيّد ولدك، وهو يومئذ أصغرهم.[1]

وفقًا للروايات التاريخية في طبري وفتوح البلدان، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر بارسال الجيوش ضد الفرس في السنة السابعة عشر من الهجرة. وبعد ذلك، تم فتح منطقة "موّج" التي كانت تحت سلطة بلاد فارس، فتحت على يد الحكم في السنة التاسعة عشر من الهجرة. وبعد عدة سنوات، حاصر أبو موسى الأشعري منطقة "مناذر" وفتحها، وقد روى المهلّب بأنه فقد شارك في هذا الفتح.[2]

وبذلك، هناك دلائل إضافية عديدة على أن المهلّب بدأ المشاركة في المعارك العسكرية من سن مبكرة، حتى في مرحلة شبابه. وكان ذلك تحت رعاية وإشراف الكبار من الصحابة والقادة ذي الخبرة والتجربة في ذلك العهد، مما جعله قائدًا مسلمًا عظيمًا وشجاعًا وعازمًا. كما قال إقبال رح :

ع: یہ فیضانِ نظر تھا یا کہ مکتب کی کرامت تھی[3]

(أكانَ هذا فضلَ من أهل البصيرة أم كانتْ كرامة ظهرت من تربية المدرسة؟)

---

1 العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة(186 /7)

2 البلاذري، فتوح البلدان ص 545

3 د. علامة إقبال اللاهوري، كليات إقبال، جناح جبريل، 353

وكان ذلك إما بفضل رؤية متميزة أو بركة تعليمه في مدرسة الصحابة، ولكن مهما كان السبب، فقد انتشرت نور الإسلام من إمارات العرب في الشرق، وقد اختار هذا النور طريق فارس وكرمان وسجستان وزابل وكابل وبنو ومَلْتان وقندابيل وقلات (قيقان)، ووصل إلى المناطق الشمالية مثل أذربيجان وبلخ وبخارى، حيث كانت من إحدى الأنور التي نوّر الله بها هذه البلاد المباركة بهذه الشخصية أي أبو سعيد المهلّب بن أبي صفره.

أول مشاركة عسكرية للمهلب

أولى الحروب العسكرية التي شارك فيها المهلب – قد عرفناه من خلال كتب التاريخ- هي بمنطقة "مناذر" بـ إقليم الأهواز تحت قيادة الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. وقد حاصرها جيوش المسلمين. وقد تقع الأهواز في شمال شرق مخرج من شاطئ العرب، وهي منطقة إيرانية قديمة. وقد ذكر البلاذري واقعة حصار مناذر ومشاركة المهلب فيه بالتفصيل.



(في هذه الخريطة، تم تحديد منطقة الأهواز الواقعة في إيران، والتي تقع بالقرب من مدينة البصرة في العراق. كانت الأهواز آنذاك مركزًا تجاريًا مزدهرًا)

واقعة حصار مناذر في إقليم الأهواز:

هاجم المغيرة بن شعبة على "سوق الأهواز" خلال فترة ولايته وهو في أواخر سنة 15 هـ وأوائل سنة 16 هـ. وقاتل ضده من رجال الدهاقين وبيرواز، وانتهت الحرب على المصالحة. وقد تم اتفاق بدفع بعض المال. وعندما انتهت ولاية المغيرة وبدأ فترة ولاية الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- على البصرة، نقض أهل الأهواز الصلح والمعاهدة. وبناءً على نقض العهد، أراد أبو

موسى الأشعري رضي الله عنه هجومًا عليهم، وفتح بالقوة العسكرية "سوق الأهواز" و"نهر تيري"، وكان ذلك في سنة **17**هـ.

وقال أَبُو مخنف والواقدي في روايتهما: قدم أَبُو موسى البصرة فاستكتب زيادا، واتبعه عُمَر بْن الخطاب بعمران بْن الحصين الخزاعي وصيره عَلَى تعليم الناس الفقه والقرآن، وخلافة أَبِي موسى إذا شخص عَنِ البصرة، فسار أَبُو موسى إِلَى الأهواز، فلم يزل يفتح رستاقا رستاقا ونهرا نهرا، والأعاجم تهرب من بين يديه فغلب على جمع أرضها إلا السوس، وتستر ومناذر، ورامهرمز. [21]

قَالُوا: وسار أَبُو موسى إِلَى مناذر، فحاصر أهلها فاشتد قتالهم فكان المهاجر بْن زياد الحارثي أخو الربيع بْن زياد بْن الديان في الجيش فأراد أن يشري نفسه وكان صائما، فقال الربيع لأبي موسى: أن المهاجر عزم عَلَى أن يشري نفسه وهو صائم، فقال أَبُو موسى: عزمت عَلَى كل صائم أن يفطرأولا يخرج إِلَى القتال، فشرب المهاجر شربة ماء، وقال: قَدْ أبررت عزمة أميري والله ما شربتها من عطش، ثُمَّ راح في السلاح فقاتل حَتَّى استشهد. كان هذا هو التحريض المبني على العاطفة الإيمانية التي انتشر بها الإسلام في تلك المناطق.

أن عُمَر كتب إِلَى أَبِي موسى وهو محاصر مناذر يأمره أن يخلف عليها ويسير إِلَى السوس فخلف الربيع بْن زياد.

واستخلف أَبُو موسى الأشعري الربيع بْن زياد عَلَى مناذر وسار إِلَى السوس،

1 بلاذري، فتوح البلدان (ص: **366**)

2 بلاذري، فتوح البلدان (ص: **366**)

ففتح الربيع مناذر عنوة، فقتل المقاتلة. وصارت مناذر الكبرى والصغرى في أيدي المسلمين، فولاهما أَبُو موسى عاصم بْن قيس بْن الصلت السلمي، وولى على سوق الأهواز سمرة بْن جندب الفزاري حليف الأنصار كـ عامل.

كانت هذه معركة ضارية وطويلة، حيث استمر حصار مناذر لفترة طويلة، لكن المسلمين انتصروا في النهاية، وشارك المهلّب في هذا الحصار، وقد ذكر البلاذري ذلك كما يلي.

حدثني سعدوية، قَالَ: حَدَّثَنَا شريك عن أَبِي إِسْحَاق عَنِ المهلب بْن أَبِي صفرة، قَالَ حاصرنا مناذر.[1]

المهلّب قد شارك في هذه المعركة، ومن المؤكد بأنه كان شاباً وقد شارك تحت إشراف قائد عظيم من قادة العسكرية الإسلامية. ونستطيع أن نقول بإن المهلّب بدأ المشاركة في المهمات العسكرية منذ شبابه المبكر. وشركته في المعارك أصبح جزء من طبيعته. كما ذكره الطبري في تاريخه، بأنه "في السنة **17** هـ، سمح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح جبهة ضد الفرس، وبعدها تم حصار "مناذر."

هذه المعركة، كان المهلّب بالتأكيد عند وقوعها شابًا، حيث كان قد شارك في هذه الحملة الهامة تحت قيادة قائد عسكري مسلم كبير. ويمكن القول إن المهلّب بدأ في المشاركة في الحملات العسكرية منذ شبابه، وفقًا لطبعه العسكري. وفقًا لتاريخ الطبري، سمح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

1 (فتوح البلدان، احمد بن يحى بن جاهر البلاذرى ص **545**

في السنة **17** ه بفتح جبهة ضد الفرس، وقد تم حصار مناذر بعد ذلك.[1]

أي أن هذه الواقعة تعود إلى حوالي سنة **20** ه. ومن خلال التفاصيل التي ذكرها البلاذري عن المهلّب، نعلم أنه حتى سنة **36** ه لم يُذكر أي حادثة أخرى أو معركة ملحوظة تتعلق به. وهذا يعني أنه حتى سنة **36** ه، لم يظهر المهلّب كقائد عسكري بارز في التاريخ. ومع ذلك، فإن شخصية المهلّب بعد سنة **36** ه تظهر بشكل بطل عظيم في التاريخ الإسلامي.

الفهم الكامل للحملات السياسية والعسكرية للمهلّب، وإدارته، وآثاره، وفتوحاته، تحتاج إلى التفهيم للنظام السياسي والحكومي المتداول في تلك الفترة بشكل مجمل.

1 تاريخ الطبرى ج **3** ص**69**

الفصل الثالث

المهلب ووصول الإسلام الابتدائي في باكستان

الفصل الثالث :
المهلب ووصول الإسلام الابتدائي في باكستان

الفهم الكامل للإنجازات السياسية والعسكرية وإدارية للمهلّب، وآثاره، وفتوحاته، تحتاج إلى التفهيم للنظام السياسي والحكومي المتداول في تلك الفترة بشكل مجمل.

المناصب الحكومية في العصر الأموي

في العصر الأموي، كان أعلى منصب حكومي هو منصب الخليفة. وتحته كانت هناك بعض من المناصب المهمة:

الوالي: كان الوالي مسؤولاً عن منطقة واسعة، أي المقاطعة، وكان يتولى إدارة جميع شؤون تلك المنطقة. كان يعين نائبين له أو العمال الخاصة على المناصب الأخرى إما باختياره أو بتعيين من الخليفة. في بعض الأحيان، كان الوالي يصبح قويًا لدرجة ما، كما كان يصدر عُملات باسمه، والخليفة كان يسمح له بذلك لأسباب سياسية وعسكرية. حسب النظام السياسي اليوم، يمكن اعتبار منصب الوالي معادلًا لمنصب الحاكم على الإقليم أو رئيس الوزراء بإقليم (**Governor of Province/ Chief Minister**)، بل كان له دور أكثر نشاطًا وقوة وحركة سياسية. كان للولاة أهمية كبيرة في فترة الحكم الأموي.

العامل: في كل إقليم، كان "الوالي" يعين عُمّالًا وفقًا لتقسيم المناطق في تلك

المحافظة. كان كل عامل مسؤولًا عن إدارة النظام المالي، وجمع الأموال من الصدقات والزكاة والضرائب، والغنائم، وكان مسؤوليته جمعها وتوزيعها، وتنظيمها في منطقته. أي كان العامل مسؤولًا عن إدارة ديوان الخراج.

الأمير: هذا المصطلح كان يستخدما للإشارة إلى قائد عسكري في مهمة عسكرية ما. وكان استعماله في العموم لقائد كبير يتم تعيينه على رأس جيش كما في يومنا هذا القائد العسكري بمنطقة (**General Commander**) للمهمة العسكرية، وهذه المهمة العسكرية تتضمن حملات متعددة. وأحيانًا كان الأمير يتم استخدام هذا المصطلح على قائد أصغر أو زعيم في معركة أو مِهمة عسكرية ضمنية أثناء حملة كبرى. وفي يومنا يستعمل مصطلح صاحب لواء على المنطقة الخاصة (**Sector Commander**) أو القائد للمهمة عسكرية ضمنية كـ (**Captian**) فإن تفهيم هذا المصطلح تاريخيًا يعتمد على الظروف والأحداث التي تم فيها استخدامه، ويعتمد في تعيين اطلاقه على الأحوال الذي أُستعمل فيه.

صاحب شرطة: كان هذا المنصب من مناصب المهمة في ذلك النظام الحكومي وكان يعمل مثل ضابط الشرطة الكبير، مسؤولًا عن الحفاظ على النظام والأمن في المحافظة. وبالمقارنة مع النظام المعاصر، كان يشبه بمنصب رئيس الشرطة بإقليم(**Inspector Generals**).

هذه المناصب الإدارية والعسكرية والمالية الهامة كانت لها مكانة خاصة في النظام الحكومي في العصر الأموي. ومع ذلك كانت هناك مناصب أخرى وكذلك

كانت لها دور سياسي، أو ديني، أو انتطامي، أو عسكرى كان يتم تعيين العديد من الأشخاص عليها مثل السفراء والمبعوثين وغيرهم، وذلك لتنظيم وتسيير النظام الحكومي بأسلوب منظم.

المهلب بن أبى صفرة، تُقدّر أهمية حياته السياسية والعسكرية من خلال حقيقة أنه كان من الشخصيات المتميزة التي عينت في الأوقات المتعددة على جميع المناصب الإدارية والعسكرية، والتي تم بيان تفصيلها في هذا الكتاب بأماكنها المناسبة.

عندما أصبح الخليفة الأموي، أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، خليفة، عيّن عبد الله بن عامر واليًا على البصرة. ومن جانبه، عيّن عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة عاملًا على سجستان، بينما عيّن عبد الله بن خازم عاملًا على خراسان، وعيّن عبد الله بن سوار العبدي عاملًا على حدود السند (ومن هنا يبدأ دور المهلب وتعيينه على المناصب)

عبد الرحمن بن سمرة ك عامل على سجستان وتقدمه نحو أفغانستان

في السنة **43**هـ، عندما عين عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة عاملًا على سجستان، توجه إلى هناك. وكان عباد بن حصين هو صاحب شرطته. وكان معه العديد من الأشراف، من بينهم المهلب. وعندما وصل عبد الرحمن بن سمرة إلى سجستان، بدأ بالتقدم بلا توقف نحو كابول.

وقد ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، تقدم عبد الرحمن بن سمرة

نحو كابول ثم فتحها تحت قيادته كما يلي:

> فِي هَذِهِ السَّنَةِ (أي في سنة 43هـ) اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ، فَأَتَاهَا وَعَلَى شُرْطَتِهِ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبَطِيُّ وَمَعَهُ مِنَ الْأَشْرَافِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَغَيْرُهُ، فَكَانَ يَغْزُو الْبَلَدَ قَدْ كَفَرَ أَهْلُهُ فَيَفْتَحُهُ... [1]

في نفس السنة، أي في **43**هـ، عين عبد الله بن عامر عبد الله بن سوار العبدي عاملًا على منطقة حدود السند في ذلك الوقت. وبدوره، بدأ عبد الله بن سوار تقدمه وحملة على مدينة قيقان، التي كانت تقع على الحدود الشمالية الغربية ببلاد السند في ذلك الوقت، وهي اليوم تعرف بـمدينة قلات. بداية حققت لجيش المسلمين الفتوحات بهذه المنطقة، لكن بعد ذلك استشهد سوار العبدي نتيجة لمقاومة محلية في قيقان. وقد روى ابن الأثير هذا على النحو التالي:

> اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَلَى ثَغْرِ الْهِنْدِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَوَّارٍ الْعَبْدِيَّ، وَيُقَالُ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ مِنْ قِبَلِهِ، فَغَزَا الْقِيقَانَ فَأَصَابَ مَغْنَمًا، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْدَى لَهُ خَيْلًا قِيقَانِيَّةً، وَرَجَعَ فَغَزَا الْقِيقَانَ فَاسْتَنْجَدُوا بِالتُّرْكِ فَقَتَلُوهُ.. [2]

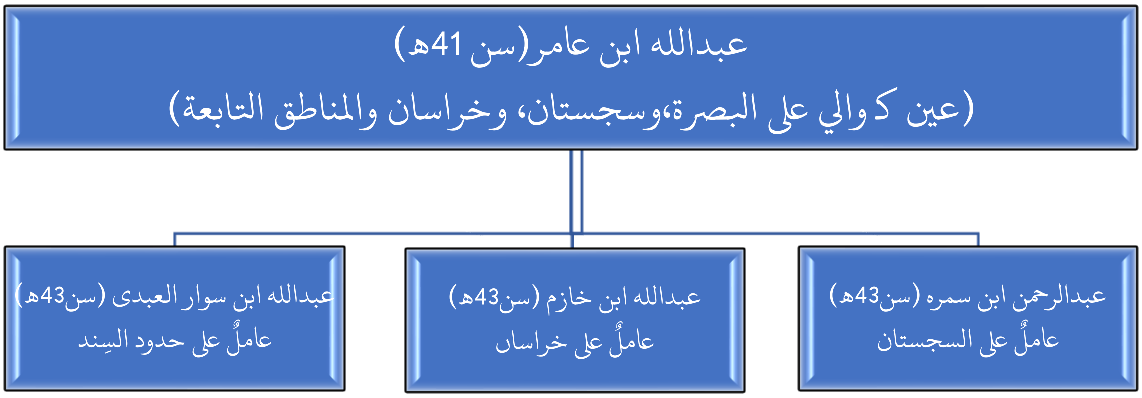
1ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط**1**، **1417**هـ/ **1997**م، ج**3**، ص**35**

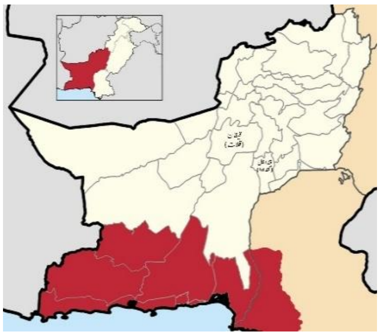
2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج**3**، ص**35**

كان هذا التقدم العسكرى على قيقان (التي تعرف اليوم بقلات) أول تقدم من الجيوش لمسلمين على المنطقة. وقد ذكر ابن الأثير هذه المهمة العسكرية تحت عنوان "غزوة السند"، لأن منطقة قيقان (قلات) في ذلك الوقت كانت تُعتبر جزءًا من مناطق السند وكان حكمها تحت سيادة راجا داهر، وكانت تقع على الحدود الشمالية الغربية للسند.

بعد الفتح المؤقت لمدينة قيقان (قلات) من قبل عبد الله بن سوار العبدي خرج قلاب من أيدي المسلمين على الفور. المهلب بن أبي صفرة الذي كان على مهمة كابول، حيثما حصل الفتح على أهل كابول وورد بـ مدن التي تتضمنها اليوم بلادنا باكستان وفتحها بعد فتح كابول، وكذلك قام بفتح مدينة قلات مرة ثانية. فهذا الفتح من المهلب بمناطق باكستان تعد من الفتوحات المستقرة التي لا حزيمة بعدها. حيث لم تخرج هذه المناطق والمدن من أيدي المسلمين أبدًا.

في ذلك الوقت كانت حدود السند تشتمل على حدود بلوشستان الحالية، التي أصبحت معظم أراضيها جزءًا من الحكومة الإسلامية، وهذه المدن والأراضي اشتهرت بـ منطقة مكران. وإليكم بيان لهذه المناطق فيما يلي:









(تم تحديد أسماء المناطق وعواملها الثلاثة تحت ولاية البصرة)

والي البصرة في العصر الأموي كان لديه اختيار كلي للتعيين عماله على المناطق الشرقية من العراق، التي كانت تمتد إلى إيران الحالية وبلوشستان وخراسان. فقد قام عبد الله بن عامر، والي البصرة، بتعيين عماله على سجستان وخراسان وحدود السند. كانت مناطق السند في ذلك الوقت تشمل على الأراضي الواسعة من محافظة بلوشستان الحالية في باكستان، وكان ساحلها الذي يُعرف بمكران قد انضم إلى الخلافة الإسلامية قبل عام 43 ھ. ولكن في شمالها كانت مدينة قيقان (قلات)، وهي لم تنضم إلى الخلافة الإسلامية قبله.



(الخريطة، تم بها تبيين سجستان، الذي يعد منطقة متصلة بغرب محافظة بلوشستان الحالية في باكستان، حيث تم تعيين عبد الرحمن بن سمره كعامل في هذه المنطقة، والذي بدأ في التقدم نحو كابل من هنا في عام **43** هـ)

عندما وصل عبد الرحمن بن سمرة[1] إلى سجستان[2]، كان من بين القادة البارزين في جيشه عبيد الله بن معمر التميمي، عبد الله بن خازم السلمي، قطري بن العجاء، وأبرزهم المهلّب بن أبي صفره. بدأ عبد الرحمن بن سمرة حملة لفتح المناطق الشرقية من خراسان[3] بمجرد تعيينه كعامل على سجستان، وبمساعدة

1 عبدالرحمن بن سمره، توفي سنة **670**م، كان صحابيا وشارك في سنة **629**م في سرية موتة.

2 هذه المنطقة تقع حاليًا في إيران وتُعرف باسم 'سيستان'. (يرجى التحقق من هذا الموقع الجغرافي بدقة، حيث قام شاه عبد العزيز الدهلوى في بستان المحدثين بتصحيح هذا الخطأ الذي وقع فيه ابن خلكان)

3 خراسان: تقع في جنوب غرب أفغانستان

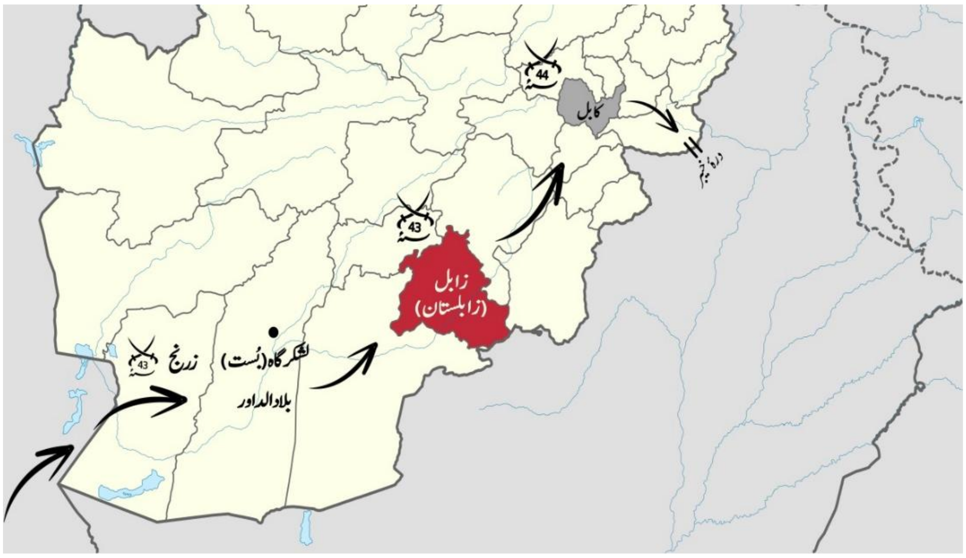
جيشه الذي كان يشتمل على **7** إلى **8** آلاف جندي، تمكّن في عام **653** م من فتح أولاً "رخّخ" ثم "أرض الجدار"، والتي تضم حالياً مناطق بغران، وموسى قلعة نوراد، وكجكي، وغيرها.

وبمنطقة 'أرض الجدار'، التي هي الآن منطقة وادي هلمند بأفغانستان، قام عبد الرحمن بن سمرة بقطع يد تمثال في معبد 'الزور'، وكذلك قام باستخراج الياقوت من عينيه ورميها هناك. كما ترك هناك أكوامًا من الذهب والفضة والجواهر في نفس المعبد، قائلًا: "إن هدفنا ليس بجمع الأموال أو الغنائم في صورة السلب والنهب، بل هو أن نُظهر أن هذه الأصنام لا تملك شيئًا، وأن عبادتها هي شرك عظيم، وبالتالي فإن عبادتها لا طائل منها**"**.

كان هذا البيان التاريخي لعبد الرحمن بن سمرة، الذي يبرز لنا حتى اليوم جانبًا أصيلًا في تاريخ المسلمين. ففتْح الأراضي لم يكن بغرض جمع الغنائم أو السلب، بل كان هدف المسلمين من الفتوحات والمهمات هو نشر الدعوة وإزالة الشرك. وقد ذكر البلاذري هذا الفتح وأحوالها بأسلوب تالي:

> ثُمَّ ولى ابن عَامِر عَبْد الرَّحْمَنِ بْن سمرة بْن حبيب بْن عَبْد شمس سجستان، فأتى زرنج فحصر مرزبانها في قصره في يوم عيد لهم فصالحه عَلَى ألفي ألف درهم وألفي وصيف وغلب ابن سمرة عَلَى ما بَيْنَ زرنج وكش من ناحية الهند وغلب من ناحية طريق الرخج عَلَى ما بينه وبين بلاد الدوار، فلما انتهى إِلَى بلاد الدوار حصرهم في

حبل الزور ثُمَّ صالحهم فكانت عدة من معه منَ المسلمين ثمانية آلاف فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف، ودخل عَلَى الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثُمَّ قَالَ للمرزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع، وفتح بست وزابل بعهد.[1]



(بدأ عبد الرحمن بن سمرة التقدم نحو كابُل من سجستان في عام **43** ه، وكان المهلّب بن أبي صفره من بين القادة المهمين الذين شاركوا في هذه المهمة. في عام **44** ه، الموافق **664** م، فتحت كابُل، وفي نفس العام، عبر المهلّب بن أبي صفره ممر "دره‌ء خيبر" ووصل إلى منطقة باكستان. وبذلك أصبح المهلّب أول فاتح مسلم دخل بمناطق باكستان من الشمال الغربي عبر هذا الطريق).

(الخريطة المذكورة توضح مهمة عسكرية قادها عبد الرحمن بن سمرة نحو كابُل، حيث كان المهلّب بن أبي صفره قائدًا مهمًا في هذه الحملة.)

1فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، **1988**م، ص**382**

بعد فتح زرنج، بدأ عبد الرحمن بن سمرة في توسيع نفوذه في المنطقة، حيث ضمّ كل من "بوست" (لشكرگاه) و"زابلستان" إلى سلطنة الإسلام دون قتال، وذلك من خلال اتفاقيات ومعاهدات سلمية.

وبعد هذه الفتوحات والتوسيعات السلمية، قام عبد الرحمن بن سمرة باستحكام سلطته واستقرار حكمه في سجستان من خلال تأسيس منصب "صاحب شرطه" في المنطقة. كما أمر ببناء أول مسجد في منطقة "زرنج"، وهي أول مسجد تم بناؤه في المناطق التي تُعرف اليوم بأفغانستان.

على الرغم من تحقيقه للعديد من الانتصارات، واجه عبد الرحمن بن سمرة بعض المقاومات في تلك المناطق، لكنه تمكن من السيطرة والغلبة عليها، وبدأ مسيرته نحو كابُل، حيث بدأ التقدم على كابُل.

عندما وصل جيش عبد الرحمن بن سمرة إلى كابُل، كانت هناك حكومة "هندو شاهية" تحكم على المدينة والمناطق المتجاورة. وكذلك كانت تُعرف حكومة كابُل قبل وصول الإسلام بعدة أسماء، من بينها "الحكومة الهندوشاهية"، أو "حكومة كابل شاهية"، أو "براهمن شاهية". كانت قوات كابُل محصّنة في قلعة المدينة. وقد وصف البلاذري معركة فتح القلعة على النحو التالي:

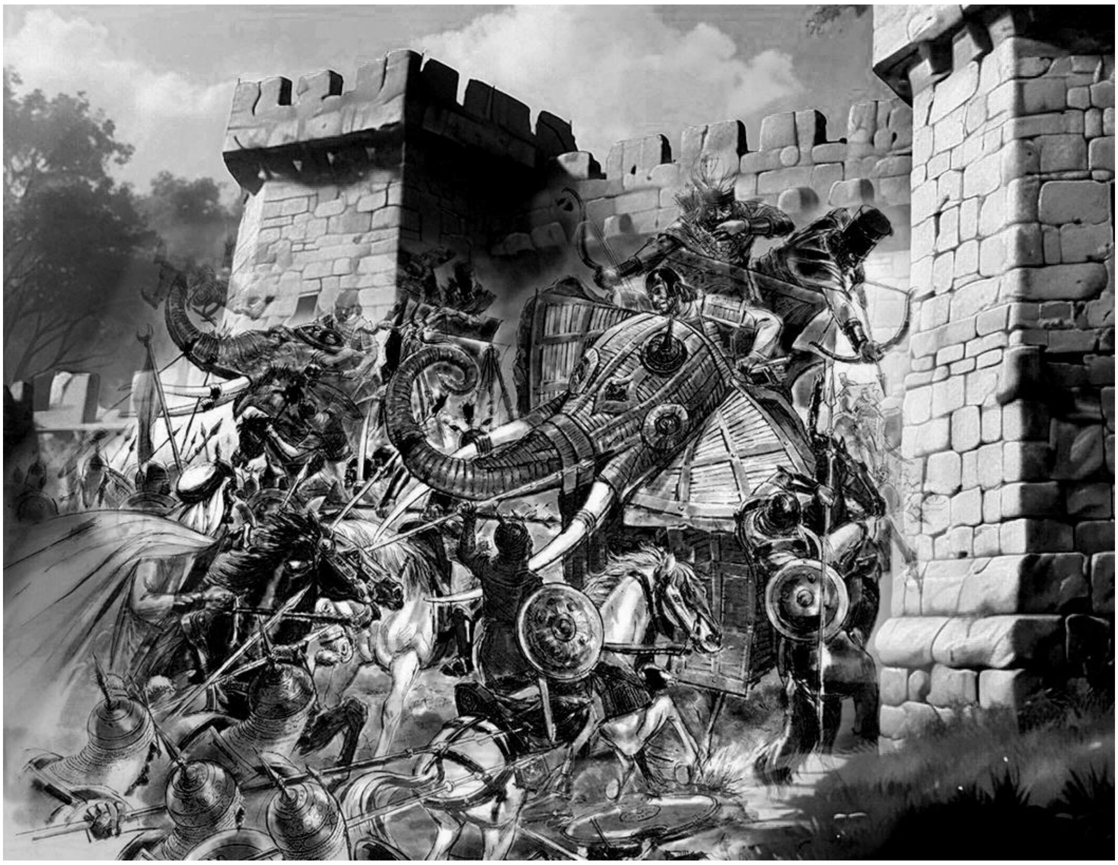
> ثُمَّ لما ولى معاوية بْن أَبِي سُفْيَان استعمل ابن عَامِرٍ عَلَى البصرة، فولى عَبْد الرَّحْمَنِ بْن سمرة سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد بْن الحصين الحبطي ومعه منَ الأشراف عُمَر بْن عُبَيْد اللَّه بْن معمر التيمي، وعبد اللَّه

بْن خازم السلمي وقطري بْن الفجاءة، والمهلب بْن أَبِي صفرة فكان يغزو البلد قَدْ كفر أهلها فيفتحه عنوة أو يصالح أهله حَتَّى بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهرا وكان يقاتلهم ويرميهم بالمنجنيق حتى ثلث ثلثة عظيمة، فبات عليها عباد بْن الحصين ليلة يطاعن المشركين حَتَّى أصبح فلم يقدروا عَلَى سدها، وقاتل بْن خازم معه عليها فلما أصبح الكفرة خرجوا يقاتلون المسلمين فضرب بْن خازم فيلا كان معهم فسقط عَلَى الباب الَّذِي خرجوا منه فلم يقدروا غلقه فدخلها المسلمون عنوة، وقال أَبُو مخنف: الَّذِي عقر الفيل المهلب...[1]

[2]

1فتوح البلدان، أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص384

2 فتوح البلدان،البلاذری، نفیس اکیڈمی، کراچی، ص 570



هذه الصورة الخيالية توضح لنا الحروب في ذلك الزمان وخطرها، وتوضح لنا عن العظماء والفاتحين الذين قدموا حياتهم لنشر نور الإسلام في تلك المناطق. اليوم، ولله الحمد، تضيء نور الإسلام في هذه المناطق بفضل تضحيات هؤلاء العظماء والأبطال. إذا كان هدف هؤلاء العظماء هو المال أو توسيع الأراضي، لما بقي للإسلام ذكر في تلك المناطق بعد مرور قرون من ذهابهم ووفاتهم. فلو كان هدفهم هو الغنائم أو الفتوحات، لما بقي أثر لمعتقداتهم في تلك المناطق بعد غزوهم، مثل ما حدث مع الإسكندر الأعظم أو قبائل الهون الصينية، الذين بعد مغادرتهم لم يبق أي أثر لمعتقداتهم الدينية في السكان المحليين. إن حقانية دين الإسلام وإخلاص هؤلاء العظماء هما عاملات الذان جعلا هذه المناطق اليوم مركز ومنارة للإسلام، ولم تستطع أي قوة، ولله الحمد، أن تقلل من هذه الأنوار.

ومن أمثلة ذلك هزيمة القوى الطاغوتية مثل الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة في عصرنا الحاضر. عند دراسة هذه الأحداث التاريخية المضيئة ومثلها من الأحداث في العالم، تتبادر إلى الذهن على الفور أبيات من شعر العلامة إقبال التالية:

یہ غازی یہ تیرے پر اسرار بندے

جنہیں تو نے بخشا ہے ذوق خدائی

يا رب هؤلاء الغزاة عبادك وأصحاب سرك،، الذين منحتهم الذوق السلطة/ الحكومة.

دو نیم ان کی ٹھوکر سے صحرا و دریا

سمٹ کر پہاڑ ان کی ہیبت سے رائی

ينشق البحر والصحراء من ركلات خيلهم، وترتعد الجبال و تصير حطاما من هيبتهم.

دو عالم سے کرتی ہے بیگانہ دل کو

عجب چیز ہے لذت آشنائی

عزفت قلوبهم عن الدارين إن لذة المعرفة لشيء عجيب.

شہادت ہے مطلوب و مقصود مومن

نہ مال غنیمت نہ کشور کشائی

نيل الشهادة هي هدف المؤمن وطموحه، لا مال الغنائم وفتح الممالك.

خیاباں میں ہے منتظر لالہ کب سے
قبا چاہیئے اس کو خون عرب سے

إلى متى ينتظر الشقائق في الطرقات، ويخضب عباءته بدماء العرب.

کیا تو نے صحرا نشینوں کو یکتا
خبر میں نظر میں اذان سحر میں

يا رب هل جعلت سكان الصحراء أفذاذا، في السماع وفي الرؤية وفي آذان السحر ؟

طلب جس کی صدیوں سے تھی زندگی کو
وہ سوز اس نے پایا انہیں کے جگر میں

وما كانت تنشده الحياة منذ قرون، عثرت عليه في حرقة قلوبهم.

کشاد در دل سمجھتے ہیں اس کو
ہلاکت نہیں موت ان کی نظر میں

الموت في نظري ليس فناء، بل يعتبرونه فتحا لباب القلب.

دل مرد مومن میں پھر زندہ کر دے
وہ بجلی کہ تھی نعرۂ لا تذر میں

اللّٰهُمَّ ابعث الحياة في قلب المؤمن ثانية، وذلك البرق الذي كان في صيحة لا تذر"

عزائم کو سینوں میں بیدار کر دے
نگاہ مسلماں کو تلوار کر دے [1]

اللّٰهُمَّ أيقظ الهمم في الصدور، واجعل من عين المسلم سيفا.

على الرغم من أن العلامة إقبال قد نسب هذه الأبيات إلى "دعاء طارق" و"ميدان المعركة في الأندلس"، إلا أنه عندما نعود إلى فترة مماثلة، بل ربما قبل طارق بن زياد بقليل، نجد أن هناك قائدًا مسلمًا آخر كان يقاتل في كابول وكانت حياته مملوءة بالخطر لهدف وهو رفع راية الإسلام، وكان أيضًا يعبر عن نفس المشاعر والأحاسيس.

أما بالنسبة للملوك المحليين في كابول الذين قاوموا المسلمين أو العرب حتى النهاية، فقد كان ينتمي إلى أسرة حكام كابول المعروفة باسم "كابول شاهية"، أو "برهمن شاهية"، أو "الهندو شاهية" أو "رايان كابول"، وكان حكامهم يُلقبون بالألقاب العائلية والموروثية مثل "رتبيل" و"زنبل" و"زنتبيل"، والتي تذكر بأسماء مختلفة في كتب التاريخ.[2]

بداية المهمات العسكرية للمهلب نحو ممر "دره خيبر"

بعد فتح كابُل الهامة وعرض شجاعة المهلب المثالّي، بدأ المهلب بناءً على أمر عبد الرحمن بن سمرة مهمته العسكرية من ناحية شمال شرق الهند، ودخل عبر

1 د. إقبال اللاهوري، جناح جبريل، دعاء طارق، ص 134-136 (مترجم جلال السعيد) ط/

2 يكتب بعدة طرق منها: رتبال، رسل، رتسل، زنبيل،اور رنويل وغيرها-

ممر" دره خيبر" متوجّهًا نحو "مدينة الهُند" لعبور نهر السند.

مدينة الهُند

كانت مدينة "اودابهندابور"[1] هي المدينة الثانية المهمة في حكومة كابول الملكية إلى الشرق من كابول، والتي تعرف الآن باسم "مدينة الهند". كانت هذه المدينة مهمة في وقت الإمبراطورية الهندوسية أو الإمبراطورية الكابولية لأنها كانت هي النقطة التي كان يتم عبور نهر السند منها. بعض المؤرخين قالوا إن هذه المدينة كانت مقر الشتاء لحكومة الهندوسية أو حكومة كابول.

وبالنظر إلى الأدلة التاريخية والآثار القديمة المنتشرة في المدينة الهُند، تم تحويلها إلى متحف بسبب أهميتها. ومن المؤكد أن الهُند هي المدينة والطريق استعملت للهجوم على بلاد السند والهند من قبل الواردين من بلاد السقيثية، والكشانية والأفغانية للغزو، مثل الإسكندر الأعظم، ومحمود الغزنوي، وشهاب الدين غوري، وتيمور، وبابر. كلهم عبروا نفس المدينة أي "الهُند" لعبور نهر السند قبل وصول المغول.

وكان يقال أيضًا أن جلال الدين الخوارزمي[2] قفز في نهر السند بها، عندما

1 اودابهندابور: الهُند

2 جلال الدين الخوارزمي (سنة الميلاد: 1199م، سنة الوفاة: 1231م) كان من أبطال العالم الإسلامي الذين واجهوا جنكيز خان بشجاعة وبسالة كبيرة. فعندما سدّ جنكيز خان جميع الطرق أمام جلال الدين، قام الأخير، بشجاعة لا مثيل لها، بالقفز بحصانه من فوق صخرة إلى نهر السند، وعبر النهر في لمح البصر. وأقام بعدئذٍ منطقة كوهستان نمك.

كان تعقيبه من جنكيز خان.[1] كانت مدينة الهُند مركزًا عسكرياً مهمًا للإمبراطورية الهندوسية. لاحقًا، بعد بناء قلعة "أتك" في الفترة من **1551** إلى **1553**، ومن ثم بناء "الطريق الجنرالي" الذي نعرفه الآن باسم "الطريق الكبير" (**Grand Trunk Road (GT Road)**)، قللت أهمية مدينة الهند في التاريخ وغابت المدينة. ومع ذلك، تبقى الآثار والتاريخ الذهبي هناك حتى اليوم، تحكي قصة أهمية موقع مدينة "الهند".

خلال كتابة هذا الكتاب حول البطل "المهلب" ظهر لنا أهمية هذه المدينة. عندما توجه المهلب في السنة **44** هـ (موافق **664** م) من كابول نحو الشرق، اتبع نفس الطريق الذي اتبعه العديد من الفاتحين الذين جاءوا من كابول قبله.[2] أي عبر ممر خيبر، ثم عبر نهر السند عند موقع مدينة الهند. كان هذا هو الطريق الذي اتبعه جيش المهلب بن أبي صفره، ولكن قبل وصوله إلى مدينة الهند، واجه مقاومة في مدينة لاهور، والتي تمكن من التغلب عليها وفتحها.

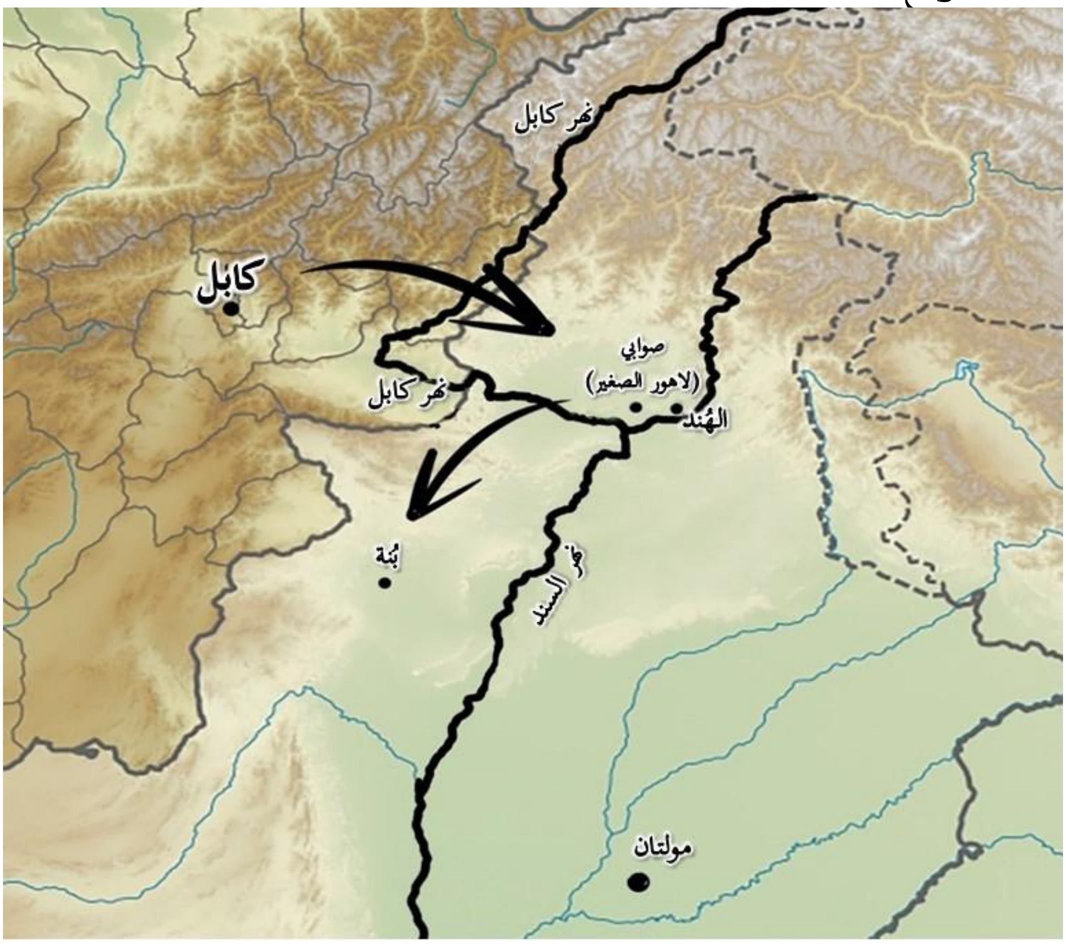
وبذلك أصبحت مدينة لاهور هي النقطة التي اتجه منها المهلب نحو الشرق، بدلاً من عن يعبر نهر السند من مدينة "الهُند" (هذا الذى كان الطريق المعروف

1 وُلد جنكيز خان في عام **1162**م وتوفي في عام **1227**م. وكان اسمه الحقيقي 'تموجن'، أي 'قوي كالقلب'. وُلد في منطقة نهر أونون. وقد عرّف جنكيز خان الإمبراطورية المغولية كإمبراطورة منظمة وقوية في العالم، وأعاد تنظيم جيشها على أسس جديدة، كما وضع مؤسسات الدولة على أسس متينة. أما المبادئ التي وضعها لتنظيم الجيش، فقد بقيت مصدر هام للخبراء العسكريين على مدى قرون. غزا الصين مرتين، وفي عامي **1214–1218**م، استولى على دولتين صينيتين هما 'هيا' و'كن'.

2 لاهور: هي مدينة (ناحية) في منطقة صوابي التابعة لإقليم خيبر بختونخواء، وتُعرف اليوم في العرف العام باسم 'لاهور الصغيرة'. حدودها تمتد إلى مناطق نوشهره، أتك، وصوابي.

والتقليدي عند عامة الناس وخاصتهم) وجه جيشه نحو مدينة "بَنَّة"[1] التي تعرف الآن باسم "بنو" بإقليم خيبر بختونخوا.

بعد مدينة لاهور بإقليم خيبر بختونخوا، قد اختار المهلب المنزل الثاني هي بمدينة "بنو". والمدينتان لسبب موقعهما الاستراتيجي المهم، نجد ذكرهما في جميع كتب التاريخ القديمة.



(يُظهر هذا الخريطة أن المهلّب بن أبي صفراء تقدم من كابل عبر مضيق خيبر إلى منطقة باكستان باتجاه الشرق على طول نهر كابل حتى منطقة صوابي في تحصيل لاهور. بعد ذلك، وبسبب وجود مدينة هند كبيرة على الضفة الغربية لنهر السند في مكان عبور النهر، لم يتقدم أكثر نحو الشرق، بل حول جيشه من لاهور نحو الجنوب باتجاه بنو.)

---

1 بَنَّةُ : بنون، بإقليم خيبر پختون خواه، باكستان

حملات المهلب على مدينتين بنة ولاهور

تذكر كتب تاريخية إسلامية مختلفة التي كتبت حول تلك الفترة الزمنية بأن المهلّب عندما قام بفتح كابل، توجه نحو الشرق وفتح منطقة كابل إلى أن وصلت فتوحاته إلى مدينة ملتان. ثم ذهب إلى مدينة قنديل الواقعة في بلوشستان الحالية. ومن خلال هذا التقدم، واجه المهلّب وجيشه الأزدي العدو في موقعين، حيث حصلت لهم النجاح. وذكر البلاذري أن هذين المدينتين هما "بَنَّةُ" و"لاهور"، بينما ذكر الخليفة ابن خياط أن المهلّب كان في "ألاهور" و"بَنَّةُ". وقد سجل الخليفة ابن خياط هذه الحملة التي جرت في سنة **44**هـ كما يلي:

> غزا الْمُهلب بْن أَبِي صفرَة أَرض الْهِنْد فَسَار إِلَى قندابيل ثمَّ أَخذ إِلَى بنة وَألاهور وهما فِي سفح جبل كابل فَلَقِيَهُمْ عَدو هَزَمَهُمْ اللَّه وملأ الْمُسلمُونَ أَيْديهم وَانْصَرفُوا سَالِمين.[1]

في العبارة التي استخدم الخليفة نجد فيها التقديم والتأخير، لأن قندابيل، وبنو، ولاهور قد فُتِحت بعد ذلك.[2]

ومع ذلك، فإن عبارة الخليفة ابن خياط المذكورة أعلاه قد تساعدنا فى تعيين الموقع لهذين المدينتين بشكل واضحٍ. فوفقًا لعبارته، فإن هاتين المدينتين

1تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت د. أكرم ضياء العمري، دارالقلم دمشق، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط**2**، **1397**هـ، ص**206**

2 تاريخ خليفه ابن خياط، ج**1**، ص**206**

— "بَنَّةُ" و"الأَلاَهُور" — كانتا واقعتين عند جنب أو سفح "جبل كابل"، والذي نعرفه اليوم باسم "سلسلة جبال هندوكوش".

'... بَنة وَألاهور وهما فِي سفح جبل كابل...الخ'

إذا طالعنا اليوم خريطة هذه المنطقة، فيَتَضح لنا تمامًا أن المدينتين المذكورتين تقعان في نفس الموقع الذي تقع فيه اليوم مدينتا بَنّو ولاهور بإقليم خيبر بختونخوا في باكستان.

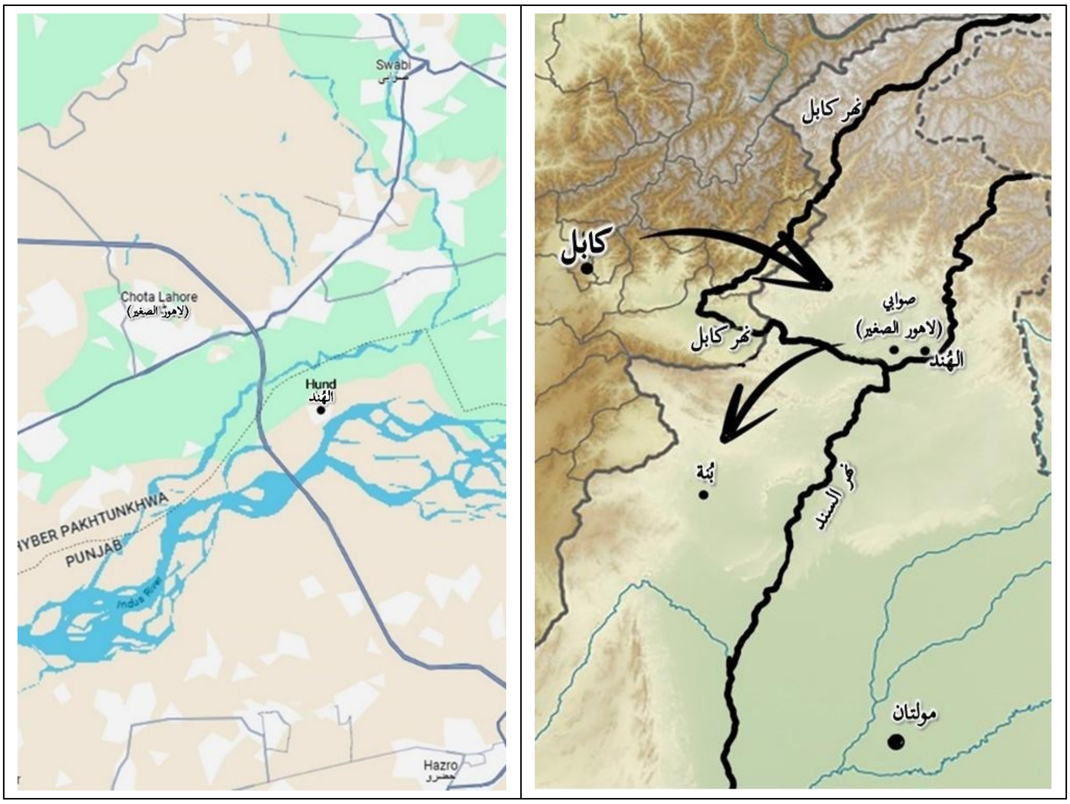
وقد ذكر ياقوت الحموي هاتين المدينتين نقلاً عن البلاذري في كتابه معجم البلدان على النحو التالي:

غزا المهلّب بن أبي صفرة في سنة 44 أيام معاوية ثغر السند فأتى بنّة ولاهور، وهما بين الملتان وكابل، فلقيه العدوّ فقتله المهلّب ومن معه، فقال بعض الأزديين:

ألم تر أنّ الأزد، ليلة بيّتوا

ببنّة، كانوا خير جيش المهلّب؟[1]

1معجم البلدان، للحموي، ج1، ص501



(من هذه الخريطة المأخوذة بالقمر الصناعي لمنطقة باكستان وأفغانستان ومعرفة موقع المدن المذكورة في كتب المؤرخين "بَنَّةُ" و"لاهور"، يتضح تمامًا أنه يتم الإشارة إلى هاتين المدينتين اللتين تقعان في سفح جبل كابل، أي جبال هندوكوش، وبين ملتان وكابل.)

من خلال نص ياقوت الحموي، يزيل الشبهة حول ذكر المدينتين المعنيتين. وبشكل خاص، المدينة التي يتم الإشارة إليها باسم "لاهور" ألا وهي مدينة لاهور الواقعة في صوابي، وليست مدينة لاهور الشهيرة اليوم بالبنجاب.

نجد اتفاق المؤرخين على أن "بَنَّةُ" هو الاسم العربي القديم لمدينة بنّو، وأن المهلب نزل بها بعد فتح كابل في سنة **44** هـ.

ومع ذلك، فقد أخطأ بعض الناس حين اعتبروا المدينة الثانية المذكورة — والتي كتبها ياقوت الحموي والبلاذري في معجم البلدان وفتوح البلدان على

التوالي باسم "لاهور"، وكتبها الخليفة ابن خياط بلفظ "الألاهور" — هي نفس لاهور الحالية، عاصمة إقليم البنجاب، وهذا غير صحيح.

رأى المؤرخون-أكثرهم-، وكذلك هو رأينا، أن **"**لاهور **"**المذكور ضمن هذا المبحث ليس لاهور الحالية الواقعة بقليم البنجاب، بل الحق هى مدينة لاهور التابعة لمنطقة صوابى بإقليم خيبر بختونخوا، والتي تُعرف عامةً باسم "چھوٹا لاهور" (أي لاهور الصغير) أو في اللغة المحلية البشتو**"** وړوکے لاهور.**"** (أي لاهور الصغير)

وهذا الرأي مبنية على مجموعة من الأدلة والأسباب، وهي كما يلي:

1ـوقد أوضح الخليفة ابن خياط موقع المدينتين المذكورتين، حيث قال "...سفح جبل كابل... الخ"، أي "جانب سلسلة جبال كابل المتصلة"، وبالنظر إلى خريطة الأقمار الصناعية لهذه المنطقة، يتضح تمامًا أن "لاهور" التي يتم الإشارة إليها تقع بمدينة صوابي، وليس لاهور العاصمة في البنجاب، التي لا تقع فيها وفي جنبها جبال، أما سلسلة جبال كابل فهي على بعد مئات الأميال. لذلك، فإن العبارة التي ذكرها الخليفة ابن خياط تشير إلى لاهور في منطقة خيبر بختونخوا، وليست لاهور العاصمة في البنجاب.

2ـفي ذلك الوقت، أي في سنة **44**هـ، لم يكن هناك أي مدينة بارزة في المنطقة التي تقع فيها مدينة لاهور في البنجاب. في كتاب "حدود العالم" القديم، يوجد ذكر لاهور [البنجاب]، والذي ذكرته "دائرة المعارف الأردية" عند ذكرها عن تاريخ لاهور وسبب تسميتها، حيث بينها بالتالى:

> "لقد غطت الشكوك والأساطير والحكايات تاريخ لاهور القديم إلى درجة أنه حتى مع المحاولات، لا يمكن تحديد بدقة حول الأسئلة متى وكيف تم تسمية هذه المدينة باسمها الحالي (لاهور)".

نجد ذكر لاهور في المصادر التاريخية الإسلامية المعروفة لأول مرة في كتاب عربي من القرن الرابع الهجري بعنوان "حدود العالم من المشرق إلى المغرب"، ولم يُعرف اسم مؤلفه. ومع ذلك، يتضح من البيانات في آخر الكتاب بأنه قد ألف في سنة **372** هـ/ **982** م. وقد ورد ذكر لاهور في هذا الكتاب على النحو التالي:

> 36- لهور«5»: مدينة ذات نواح كثيرة، سلطانها خاضع لسلطة أمير المولتان. وفيها أسواق وبيوت للأصنام. وتكثر فيها أشجار حب الصنوبر واللوز والجوز الهندي. وهم جميعا يعبدون الأصنام وليس فيها أي مسلم.[1]

بالتالي، حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، لم يكن هناك أي مسلم في

1حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (توفي بعد **372**هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، **1432**هـ، ص**85**

Hudud al-'Alam, 'The Regions of the World', A Persion Geography, (372AH/982AD), Translated and Explained by V. Minorsky, 1970, 2nd Ed., E.J.W. Gibb Memorial Trust, Cambridge, England, ISBN No. 0 906094 03 8, p 89

1 البلاذري، فتوح البلدان، ص **432**

هذه المدينة.

ذكر البلاذري في "فتوح البلدان" مدينة سماها بـ"الاهوار" وهى كانت قرية صغيرة بين مدينة اتك و ويهند.[1]

مضى البيروني سنوات طويلة في شمال الهند وقد كتب ما رأى من احوال غزو محمود الغزنوي على الهن في قرن 11م-[2] وهو يكتب في كتاب الشهير عنها:

> لاهور ليس من اسماء المدينة ولكنه منطقة وكانت عاصمتها "مندهو كور"[3] وبمرور الزمان حصلت التطور لمدينة لاهور بالبنجاب، ولم يحصل ذلك للاهور التى تقع بصوابي. ومن أهم أسباب التطور هو موقع جغرافى. وبالخصوص حصل التطور لهذه المدينة بعد ورود محمود الغزنوي وما بعده.[4]

1البلاذري، فتوح البلدان، ص 432

2"أبو الريحان محمد بن أحمد المعروف بالبيروني، وُلد في 5 سبتمبر عام 973م، وتوفي في 13 ديسمبر عام 1048م. كان البيروني من كبار العلماء والباحثين. وُلد في قرية تُدعى 'بيرون' تقع في ضواحي خوارزم، ونسب إليه بالبيروني. كان معاصرًا لابن سينا. وقد ألّف كتبًا متميزة في مجالات الرياضيات، والفلك، والتاريخ، والجغرافيا، ولا تزال تُقرأ حتى اليوم وتُعتبر مصادر معتمدة.

من أبرز كتبه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، حيث تناول فيه بعد دراسة عميقة العقائد الدينية للهندوس، وتاريخهم، والأحوال الجغرافية لشبه القارة الهندية. وكان الكهنة البرهميون لا يُعلّمون علومهم لغيرهم، لكن البيروني أقام في الهند لعدة سنوات، فتعلّم اللغة السنسكريتية، وأتقن علوم الهندوس إلى درجة قد وقعت البرهمة أنفسهم في التعجب.

3اردو دائره معارف اسلاميه (الموسوعة الإسلامية بالأردية)، ص1

4 كتاب الهند، ط: حيدرآباد، دكن، الهند 1958م،ص165

عند وصول المهلّب إلى منطقة باكستان، بل وحتى بعد عدة قرون من ذلك، لم يكن لمدينة "لاهور" في البنجاب أي وجود يذكر لدرجة، وأنه لم يكن هناك أي ذكر لها في كتب التاريخ أو الجغرافيا التي أُلفت في تلك الحقبة الزمنية. "معجم البلدان"، وهو كتاب مفصل باللغة العربية يتألف من خمس مجلدات، وربما لا يوجد أي منطقة أو مدينة مهمة من تلك الفترة لم يُذكر اسمها في هذا الكتاب. ولكن، لم يُذكر اسم "لاهور" في البنجاب بأي كتابة مثل "لاهور" أو "ألاهور" في هذا المعجم.

لقد كتب المستشرقون مثل أندريه وينك **(André Wink)** هذا المدينة باللغة الإنجليزية**(al-Ahwar)** ، مما يعني أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون المقصود هو مدينة "لاهور" في البنجاب. وقد أكدت **"Encyclopedia of Islam"**أيضًا أن مدينة "لاهور" في البنجاب لم تكن مدينة بارزة حتى القرن العاشر الميلادي، وقد اعتمدت في ذلك على نفس الكتب التاريخية الإسلامية التي تم الإشارة إليها سابقًا. وأضافت "دائرة المعارف الإسلامية" تعليقًا مهمًا ضمن بحثها التفصيلي عن مدينة "لاهور"، يوضح فيما يتعلق باسم المدينة وتأسيسها، وهذا النقاش العلمي مفيد جد لمن يريد المعرفة حول هذا الأمر ويستحق الذكر. وفيما يلي الجزء المتعلق من هذا التعليق الذي له صلة بمناقشتنا:

"عبر الإسكندر الأعظم نهر الراوي بالقرب من لاهور،
لكن اسم هذه المدينة لم يذكر في سياق أحداثه. ولم

يذكر سترابو وبليني هذا المكان أيضًا. بطليموس، الجغرافي من القرن الثاني الميلادي، ذكر مدينة "لبوكلا" وهذه المنطقة التي سُميت اليوم مدينة لاهور. لكن بطليموس ذكر موقعها في منطقة كاسبير(كشمير)، لذا لا يمكن عليه اطلاق تسمية لاهور بـ البنجاب. الرحالة البوذي هيوان تسينغ قام بزيارة مدن البنجاب في عام 630م، وقد ذكر عدة مدن، لكنه لم يذكر اسم لاهور. بعد المؤرخين اليونانيين والبوذيين، جاء دور المؤرخين والجغرافيين المسلمين. حيث ذكر البلاذري "الاهوار" بين ملتان وكابل، وقبل ذلك مباشرة ذكر "بَنَّة" (بنّو)، مما يدل على أن "الأهوار" التي يتحدث عنها البلاذري، هي مدينة لاهور الواقعة في منطقة الحدود (تحصيل صوابي) في منطقة مردان بالقرب من هُند". [1]

بعد حصول السيطرة على منطقة لاهور بمدينة صوابي، تقدم المهلب نحو الجنوب ففتح مدينة هامة تُسمى "بَنَّةُ"، التي تعرف اليوم بـ"بنّو"، ثم استمر في فتوحات المناطق المتصلة حتى وصل إلى ملتان. وقد كتب ابن الأثير عن هذا الغزو في تاريخه تحت عنوان " ذِكْرُ غَزْوِ الْمُهَلَّبِ السِّنْدَ "[2]، لأن المنطقة التي كانت

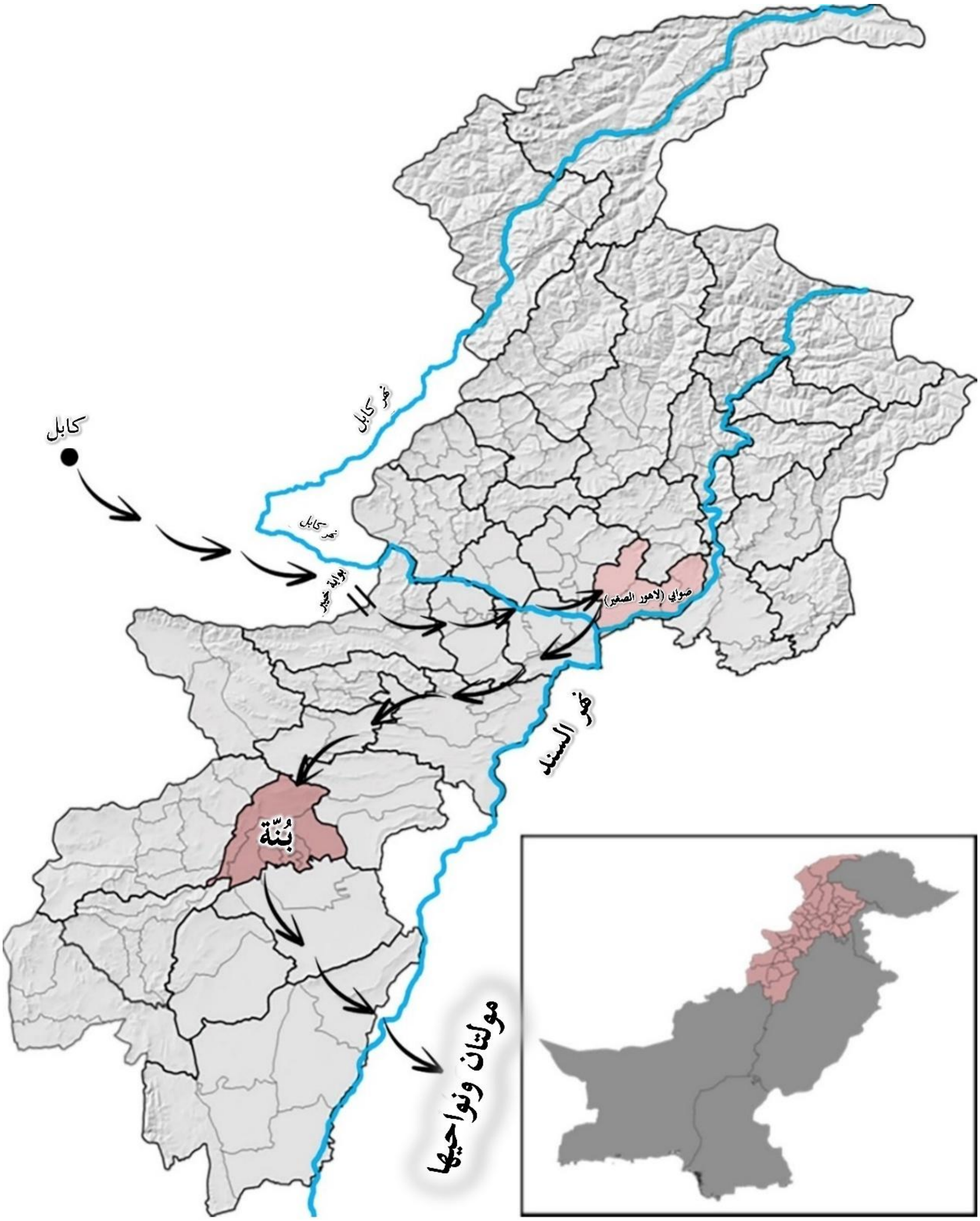
1 اردو دائره معارف اسلاميه (الموسوعة الإسلامية بالأردية)، ص1

2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ (3/ 42)

تمتد من كابل عبر "درة خيبر" نحو الشرق كانت تُسمى السند في ذلك الوقت، وليست الهند. وكان المؤرخون والجغرافيون العرب عمومًا يطلقون اسم "السند" على معظم مناطق باكستان الحالية. لذلك، استخدم ابن الأثير هذا الاسم في كتابه التاريخي للإشارة إلى تلك المنطقة.

من خلال هذه الإشارات التاريخية جميعها، يتبين أن "بَنَّةُ" هي المدينة التي تُعرف اليوم باسم "بنّو"، وكانت مدينة مهمة في تلك الفترة نظرًا لموقعها الاستراتيجي الذي جعلها ذات أهمية كبيرة للمهاجمين القادمين من كابل. بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه المدينة أيضًا ثاني مدينة مهمة وكبيرة تحت حكم "الهندو شاهية" في تلك المنطقة، و المهلّب قد غزاها وفتحها بالقوية في سنة **44**هـ.

قبل تقدم المهلّب نحو ملتان، فتح مناطق من كابل إلى منطقة صوابي ومدينة بنو. وبعد حصول الفتح والسيطرة الكاملة على تلك المناطق، بدأ يتوجه إلى ملتان. وعلى هذا الطريق، كانت "بَنَّةُ" أي بنو هي المدينة أو المستوطنة الوحيدة التي يمكن اعتبارها ذات أهمية. وبعد فتحها، انضمت مناطق واسعة من مناطق شمال غرب باكستان تحت الخلافة الإسلامية لأول مرة.



توضح هذه الخريطة أن المهلّب بعد فتح كابل في عام 43 هـ، أنار شمع الإسلام في المناطق الواقعة شرق كابل حتى صوابي (لاهور الصغيرة) ومنطقة بنو جنوب شرق، وصولاً إلى منطقة ملتان. وهذه المناطق تشكل اليوم الجزء الواقع من نهر كابل إلى الحدود الجنوبية لمقاطعة خيبر بختونخوا في باكستان، وتشمل العديد من الأقاليم في هذه المقاطعة.

تقدم المهلب نحو ملتان

بعد لاهور وبنو، كانت المنطقة الثانية الهامة التي فتحها المهلّب هي الحدود الجنوبية القصوى لمملكة "الهندو شاهية"، والتي كانت تقع على الضفة الغربية لنهر السند بـ غرب مدينة ملتان. كانت مدينة ملتان في ذلك الوقت تحت سلطة حكومة السند وما كانت تحت كابل. بدأ المهلّب تقدمه تجاه هذه المنطقة، وركز غزوه على الضفة الغربية لنهر السند، التي تجري غرب مدينة ملتان.

نحو **50** عامًا بعد هجوم المهلّب على المنطقة الغربية لملتان، في عام **713**م، جاء محمد بن قاسم من الجنوب وفتح مدينة ملتان والحصون الموجودة فيها.

كانت مدينة ملتان والمناطق الواسعة المتصله بها تطلق عليه اسم ملتان حينئذٍ، والتي كانت تحت رئاسة الملك راجا داهر الهندوسي.[1] كان حكمه يبدأ من ميناء ديبل من الجنوب. وكانت هذه المنطقة (أي ملتان) تمثل أقصى الحدود الشمالية لحكمه.

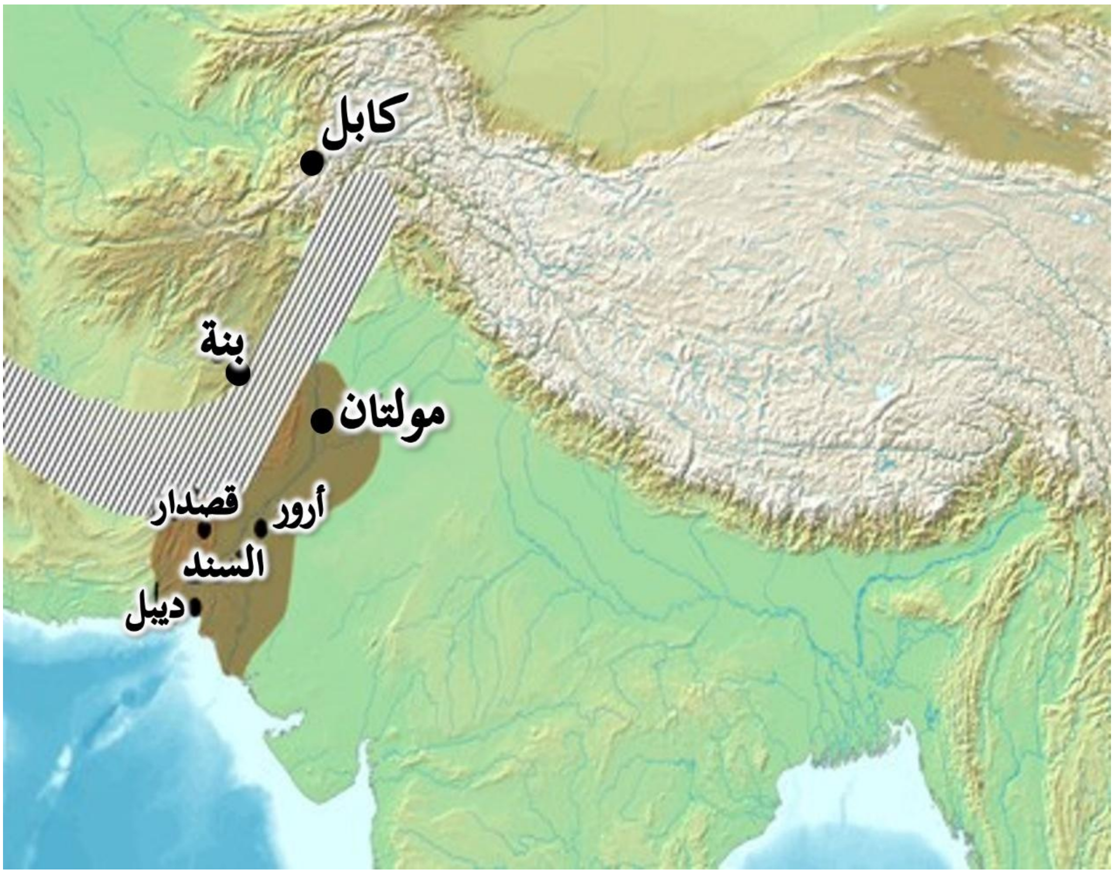
المهلّب قد ورد بمناطق السند من شمال غرب باكستان، حيث دخل من خلال ممر خيبر(دره خيبر)، فقد بقي على الضفة الغربية لنهر السند العظيم وما

---

1 "كان راجا داهر من آخر ملوك الهندوس في مناطق السند والبنجاب (ما يُعرف اليوم بباكستان). حكم راجا داهر إقليم السند في القرن الثامن الميلادي، وكان أصغر أبناء راجا نَج، وآخر حاكم من سلالة البرهمة. ووفقًا لموسوعة 'سندهيانا'، فقد وردت مناطق السند عدة عائلات برهمية من كشمير قبل ملحمة المهابهارتا، وكانت العائلات من المتعلمين لذا حصلوا بها نفوذ سياسي، حيثا قام راجا داهر بسقوط حكم عائلة 'راي' الذي دام حكمها **184** سنة بالسن وأصبح أول ملك برهمي وقتئذ يحكم السند. وُلد راجا داهر عام **663**م في مدينة 'أرور' بإقليم السند، وتوفي عام **712**م في منطقة نواب شاه، السند.

يعبر النهر لكي يغزو ويفتح الجهة الأخرى من هذه المناطق. والسبب خلفه هو عندما وصل إلى منطقة ملتان في الجنوب، كان هناك نهر السند الواسع يفصل بينه وبين مدينة ملتان.

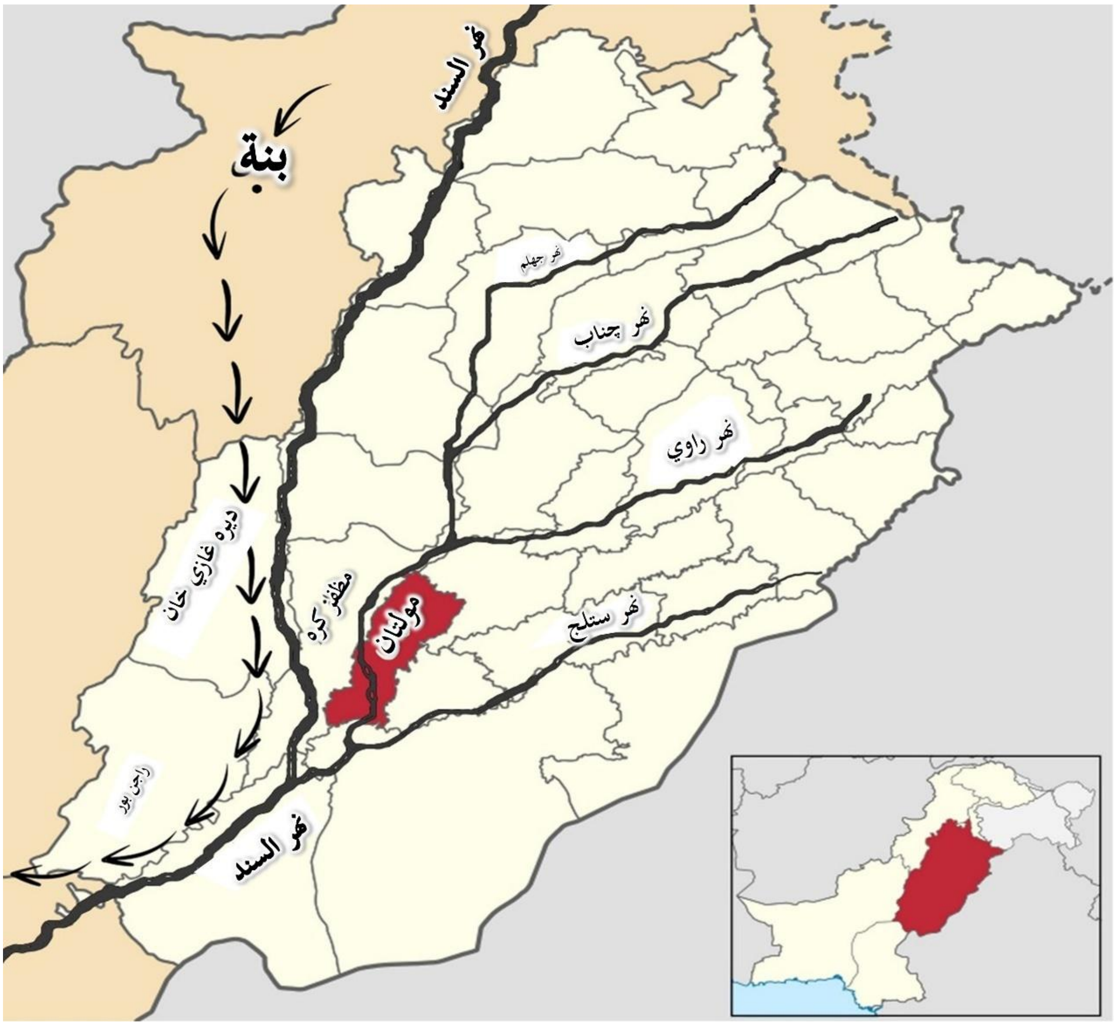
المهلّب بن أبي صفره، هو رجل عظيم الذي جاء بدين الإسلام إلى هذه المناطق وأرسى دعائم الدين الحق. كانت هذه الأسس واضحة ومستقرة لدرجة أنه عندما وصل محمد بن قاسم من الجنوب وفتح منطقة السند ووصل إلى ملتان، تمكّن من فتح حصن ملتان. والملاحظة الهامة بأن الملك الهندوسي فرّ إلى مناطق كشمير. واختار كشمير للفرار لأن حكم الهندو شاهية في الشمال الغربي، أي في بنو وصوابي وكابل، كان قد انتهى على يد المهلّب بن أبي صفرة. ومع ذلك، وقتئذ كان حكم الملوك الهندوس ما زال قائما على مناطق شمال شرق ملتان، أي على مناطق كشمير. بناءً على هذا، لم يتقدم محمد بن قاسم في الشمال، لأن هناك، أي في شمال غرب ملتان، كانت مصابيح الإسلام قد أنارت قبل **50** عامًا تقريبا من وصول محمد بن قاسم إلى ملتان، بطريق المهلّب بن أبي صفرة العظيم.



(تُظهر هذه الخريطة بحجم بُني منطقة حكم الملك راجا داهر، التي كانت تبدأ من ميناء ديبل في الجنوب وتمتد شمالًا حتى مدينة ملتان. وتشير الخريطة إلى المنطقة الشمالية الغربية والغربية التي كانت تحت سيطرة حكومة "كابل شاهية" قبل وصول المهلّب إلى المنطقة، والتي فتحها المهلّب بعد دخوله من كابل. تم تمييز هذه المنطقة في الخريطة بخطوط سوداء وبيضاء.)

كتب بعض المؤرخين المستشرقين عن تقدم المهلّب وفتح منطقة من كابل إلى ملتان في عام **664**م بتفصيل، ومن أبرزهم أندريه وينك **(André Wink)**الذي كتب بتوضيح في أحد كتبه.[1]

Al-Hind, the Making of the Indo-Islamic World, Vol 1, p.2121



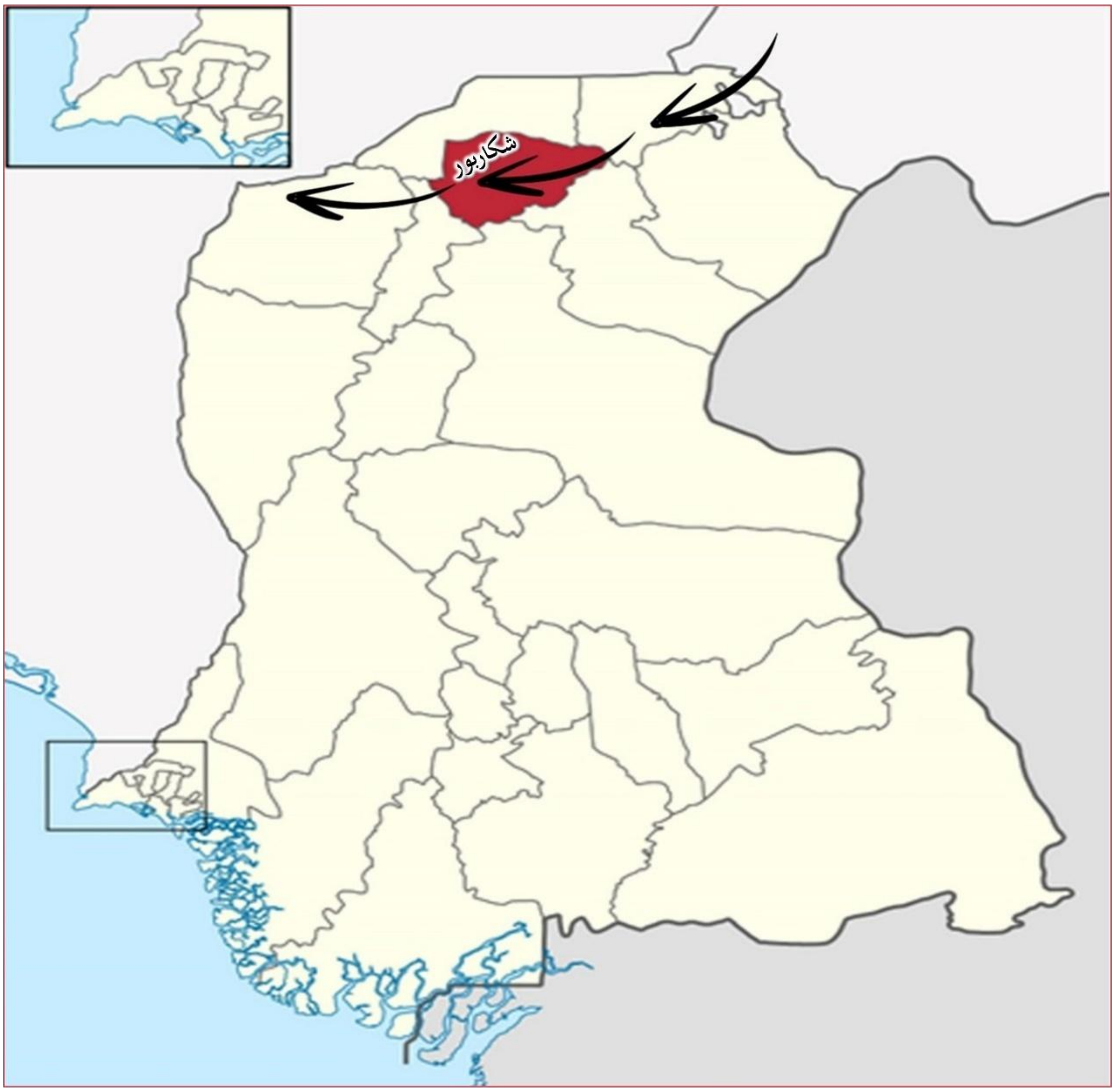
(تُظهر هذه الخريطة طريق تقدم المهلّب إلى ملتان، وسبب عدم توجهه نحو مدينة ملتان (هو وسعة نهر السند) ويظهر من الخريطة أنه استمر في التقدم جنوبًا على طول الضفة الغربية لنهر السند. وعندما وصل إلى مدينة شكاربور في ولاية السند الحالية، توجه المهلّب غربًا إلى قيقان (غندوة) للمضي قدمًا. والخريطة بشكل عام تبين تقدمات المهلّب بشكل عام)

عندما نراجع النظر في غزو المهلب على هذه المناطق، نوجد مكاناً ذو أهمية بالغة يُذكر، هو مدينة ملتان. كانت مدينة ملتان في ذلك الوقت تتمتع بأهمية كبيرة في منطقة باكستان. كان إقليم ملتان يحدد الحدود الشمالية لحكومة السند حينئذٍ. وكان لهذه المدينة أهمية خاصة من الناحية السياسية، والتجارية، والجغرافية، والدينية. وفي وسط المدينة كان حصن كبير وقويّ، وكان يحتوي على

معبد قديم يخص الدين الهندوسي. وعندما كانت جيوش المهلّب تمر على الجانب الغربي للمدينة، أي على طول الضفة الغربية لنهر السند، كان هناك عامل للملك راجا داهر وهو ابن عمّه يُدعى "غورد سينغ."-[1]

بسبب نهر السند ومجرى النور الكبير الذي كان يقع بين مدينة ملتان والمهلب، لم يهاجم المهلّب مدينة ملتان مباشرة، بل استمر في التقدم على طول الضفة الغربية لنهر السند متجهًا نحو الجنوب. ثم، عندما وصل إلى منطقة قرب شكارپور الحالية، توجه غربًا نحو مدينة هامة في ذلك الوقت تُسمى "قندابيل"، والتي تُعرف اليوم باسم "غندوة" بإقليم بلوشستان.

1اردو دائره معارف اسلاميه (الموسوعة الإسلامية بالأردية)، جلد21



(هذه الخريطة تتضح لنا أن المهلّب، سار على طول الضفة الغربية لنهر السند من ملتان، اتجه نحو الجنوب، ثم مر منطقة شكارپور الحالية ومنطقة جهل ماغسي في بلوشستان الحالية، متجهًا غربًا نحو مدينة قندابيل (التي تعرف اليوم باسم "غندوة").

مرّ المهلّب في طريقه إلى مدينة قندابيل عبر طرق جهل ماغسي التي تتسم بالمناطق القاحلة والرملية الصعبة، والتي تُقام اليوم فيها "رالي الجيب" (سباق السيارات الجيب) بـ جهل ماغسي المشهور. عبر القائد العظيم أبو سعيد المهلّب بن أبي صفره قريبا **1360** سنةً مع جيشه المشتمل على الفرسان من هذه المناطق،

والتي كانت جزءًا من إمبراطورية السند في ذلك الوقت.





(تُعتبر جهل ماغسي، التي كانت عاصمتها قندابيل وتُسمى اليوم غندوة، من الصحاري التي كان فيها في الماضي خيول جيش المهلّب بن أبي صفره، القائد العظيم للإسلام، وهي تطأ الأرض وتثير الغبار في تلك المناطق التي تُشاهد اليوم سيارات "جيب رالي جهل ماغسي" الشهيرة تثير الغبار فيها. هذه جزئية لطيفة من تاريخنا الفخري والتقليدي الذي حافظ عليه شباب هذه المنطقة بطريقتهم الخاصة وفقًا لاحتياجات الزمن).

كتاب جج نامه (چچ نامه أو تاريخ السند وفتحها)، تذكر بأن راجا جج بن سيلائج، ملك السند، في عام **641**م انضم مناطق مكران، ولسبيله، وخضدار وقندابيل إلى إمبراطورية السند. وفي عام **644**م، كان الإسلام قد وصل إلى هذه المنطقة أي "غندوه"، وانتج على خروجِ المدينة من يد راجا داهر بسبب هجوم العبدى في عام **44**هـ. وتقع هذه المدينة حاليا في ولاية بلوشستان، وهي مدينة صغيرة وغير معروفة نسبيًا، ويُطلق عليها اسم "غندوة".

تسمية قندابيل

يُنسب المدينة بهذا الاسم بناءًا على الروايات منقولة ومعورفة على ألسنة الناس، والتي لها ربط مباشر بقدوم المسلمين من العرب إلى هذه المنطقة. وفقًا

لهذه الرواية، عندما وصل العرب إلى المدينة، وجدوا هناك عين ماء باردة وعذبة في هذا الصحراء الحار، وعندما شربوا من هذا الماء قالوا: "هَذَا قَنْدٌ سَبِيْلٌ"[1]، أي "هذه سبيل حلوة مثل السكر". ومع مرور الوقت، تحولت الكلمة من "قندسبيل" إلى "قندابيل". والملاحظة بأنه لا يوجد دليل تاريخي أو شهادة تثبت هذه الرواية، ولكنها تظل مشهورة ولا تبدو بعيدة عن المعقول. والله أعلم!



ومن المحتمل أن أحد الواردين من العرب الذين شربوا من مياه جاري مثل تلك العين أو البسطان في الصحراء، قال: "هَذَا قَنْدٌ سَبِيْلٌ"، ومع مرور الوقت تحولت إلى "قندسبيل" ثم "قندابيل"، وهو ما يُعرف اليوم بـ "غندوة". بالرغم من أن المدينة صغيرة من حيث عدد

1 هذه عبارة مفيدة في معرفة سبب تسمية المدينة. على الرغم من ذلك، لا يمكن إنكار وجود خلل لغوي في العبارة العربية 'هَذَا قَنْدٌ سَبِيلٌ'. مع ذلك، من الممكن أن اسمها قد استنبط منها في لغة عامية، خصوصًا إذا كان الناس يتحدثون الفارسية أيضًا.

السكان، إلا أنها تُعتبر واحدة من أجمل مدن باكستان من بعض النواحي. تضم المدينة سكانًا من لغات ومناطق متنوعة تشمل السنديين، البلوش، البشتون، البراهويين، وأشخاص من جنوب بنجاب، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من السكان الهندوس المحليين. ووجود السكان الهندوس في هذه المنطقة يدل على أن الفاتحين المسلمين لم يسيطروا الدين الإسلامي بالقوة، بل كان بطريق الدعوة، وهو إذا اختار الناس في منطقة معينة أن يظلوا على دينهم القديم، فقد استمروا في ذلك. وجود السكان الهندوس إلى يومنا هذا بـ"غندوة" يُعتبر دليلًا قوياً على ذلك.)

ذكر البلاذري وخليفة بن خياط وغيرهم من المؤرخين "قندابيل" ووصول جيش المهلّب إلى هناك بعد ملتان. وكذا قد إشار إلى ذلك مقالة دائرة المعارف الإسلامية في اللغة الأردية على النحو التالي:

> "قندابيل: مدينة تقع في منطقة بدها [بُدهِيا، الشكل البديل نُدها] في بلوشستان، وهي تتوافق مع مدينة "كوتشي"(كج) أو "كتش(كج) غندوة" الحالية؛ والظن الغالب هو أن هذه هي المدينة التي تعرف اليوم باسم "غندوة"، والتي لم تعد لها أهمية حالياًخاصة" [1]

التفاصيل نفسهأ موجودة مع المراجع نفسها في المجلد الرابع من موسوعة الإسلام**Encyclopedia of Islam** التي استخدمها العديد من المؤرخين المعاصرين كمصدر مرجعي.

قد ذكر ياقوت الحموي مدينة "قندابيل" على النحو التالي:"

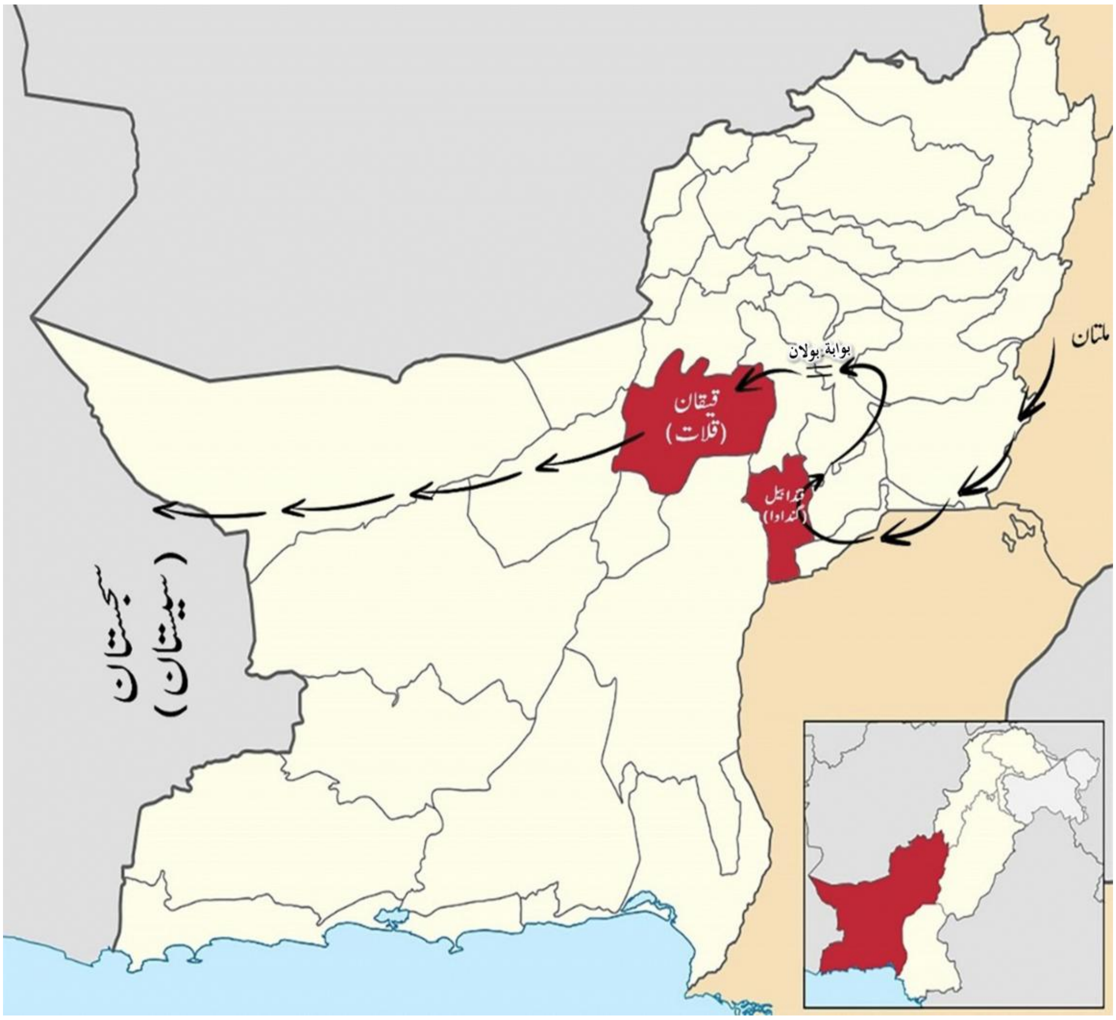
---

1 اردو دائره معارف اسلاميه(الموسوعة الإسلامية بالأردية) **16/2**،ص **411**

هي مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها النّدهة
كانت فيها وقعة لهلال بن أحوز المازني الشاري على آل
المهلب، ومن قصدار إلى قندابيل خمسة فراسخ، ومن
قندابيل إلى المنصورة ثماني مراحل، ومن قندابيل إلى
الملتان مفاوز نحو عشر مراحل...الخ[1]

من خلال التفاصيل المذكورة عند ياقوت الحموي، يتضح موقع 'قندابيل' بطريق لا يبقى أي شك في أن مدينة 'غندواه' الحالية هي نفسها كانت تُسمى 'قندابيل'. كانت هذه المدينة الوحيدة من المدن الحدودية الشمالية الغربية لمملكة السند في ذلك الوقت، والتي كانت قد انضمت إلى الحكم الإسلامي لفترة قصيرة قبل وصول المهلّب إلى هنا، وقد ذكرنا تفاصيلها سابقًا.

1الحموي، معجم البلدان،ج4، ص 402



"في الصفحة التالية تم عرض خريطة تظهر المنطقة في ملتان التي كانت تقع غرب نهر السند. بعد أن فتحها، سار المهلّب جنبًا إلى جنب مع النهر إلى الجنوب حتى وصل إلى قندابيل، التي تُعرف اليوم بـ'غندواه'. بعد ذلك، عبر "دره بولان" وتوجه إلى قيقان أي قلات، حيث واجه 18 فارسًا تركيًا. وهنا انتصر المهلّب في المعركة. وبعده، عاد إلى سجستان".

بينما كان المهلّب في طريقه من قندابيل، عبر "دره بولان" نحو سجستان، واجه مقاومة في منطقة "قيقان"، الذي يُعرف اليوم باسم "قلات". كانت المقاومة من مجموعة صغيرة من الفرسان الأتراك، وكان عددهم ثمانية عشر (18) فقط. لكن المصادر التاريخية تشير إلى أنهم كانوا فرسانًا شجعانًا، أقوياء، وكانت لهم

مهارة خاصة في الحروب. وقد ذكرت هذه المواجه بين الجيوش عند العديد من المؤرخين الذين ركزوا هذا الزمن التاريخي لهذه المناطق؛ مثل: البلاذري، وابن كثير، والطبري، وتفاصيلها نحو التالي:

وفقا لابن اثير:

وَلَقِيَ الْمُهَلَّبَ بِبِلَادِ الْقِيقَانِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَارِسًا مِنَ التُّرْكِ فَقَاتَلُوهُ فَقُتِلُوا جَمِيعًا، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: مَا جُعِلَ هَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمُ أَوْلَى بِالتَّشْمِيرِ مِنَّا! فَحَذَفَ الْخَيْلَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَذَفَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ...[1]



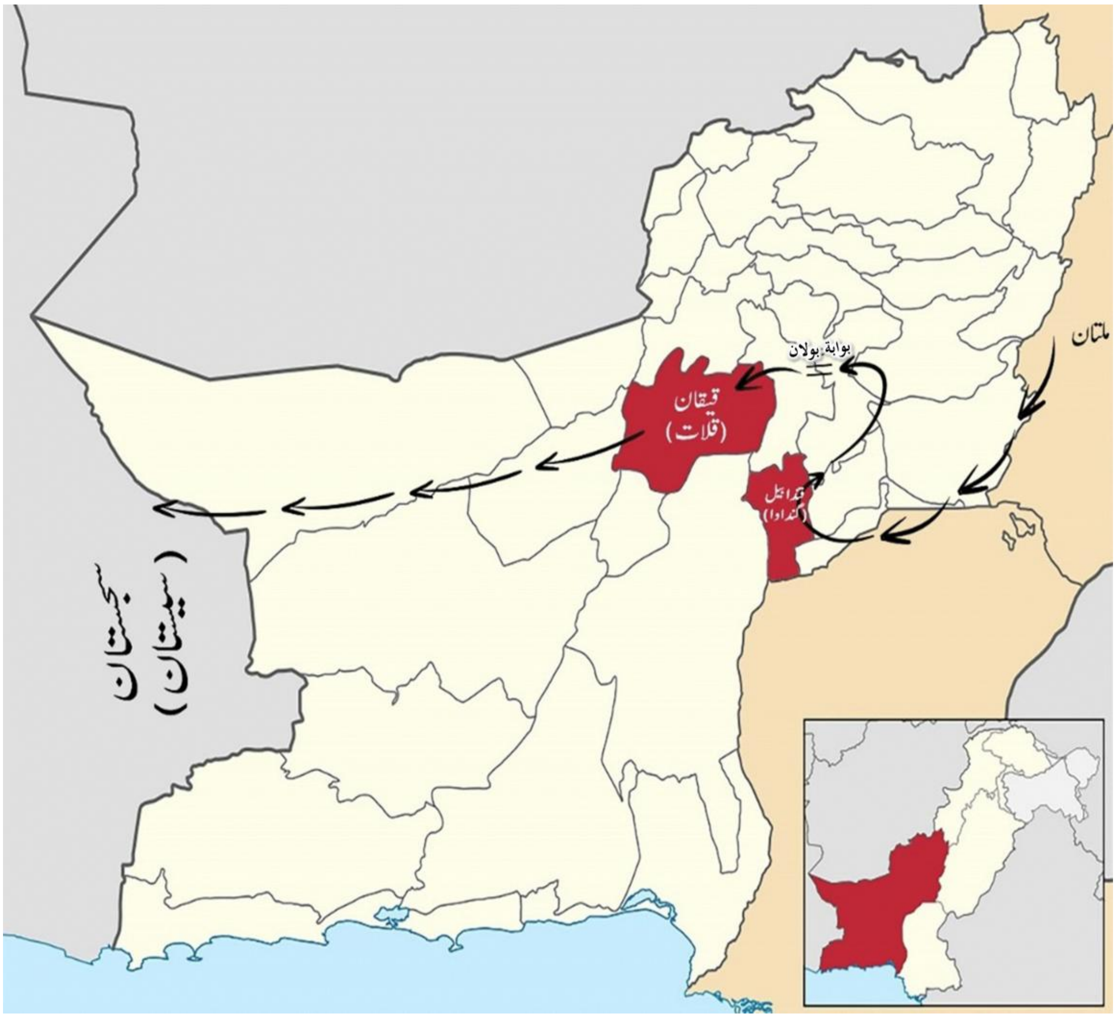


"عندما واجه المهلّب الفرسان الأتراك في قيقان أي "قلات" لاحظ أن ذيول خيولهم وعضلاتهم كانت مقطوعة، مما جعلهم أكثر خفة وسرعة. ورغم أن المهلّب حقق النصر على الأتراك، إلا أنه تعلم درسًا من هذه المعركة، حيث بدأ في قطع ذيول خيوله الحربية. ويقال إنه كان أول شخص عربي الذي قام بقطع ذيول الخيول".

وقد ذكر البلاذرى هذه الوقعة حسب التالي:

1الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، ج3، ص42-57

ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا منَ الترك عَلَى خيل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جميعا، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتمشير منا فحذف الخيل فكان أول من حذفها منَ المسلمين-



(بعد المعركة مع الفرسان الأتراك في قيقان (قلات)، عاد المهلّب إلى سجستان (سيستان) في سنة 44 هـ)

توجه المهلّب بعد قيقان نحو مناطق سجستان بجيشه. والسجستان كانت قد انضمت إلى الحكم الإسلامي قبل عدة سنوات. كان هذا هو نفس المكان

الذي بدأت منها المعارك بقيادة عبد الرحمن بن سمرة في سنة 44 هـ. وبعد فتح كابول، بدأ المهلّب الغزو العسكري المذكورة آنفًا بعد موافقة عبد الرحمن بن سمرة، وذلك قبل حوالي عام من هذه الوقعة. والآن، بعد أن حقق النصر والفتح، عاد منتصرًا لاستكمال الحملة والعودة إلى سجستان. وقد وصف ياقوت الحموي سجستان على النحو التالي:

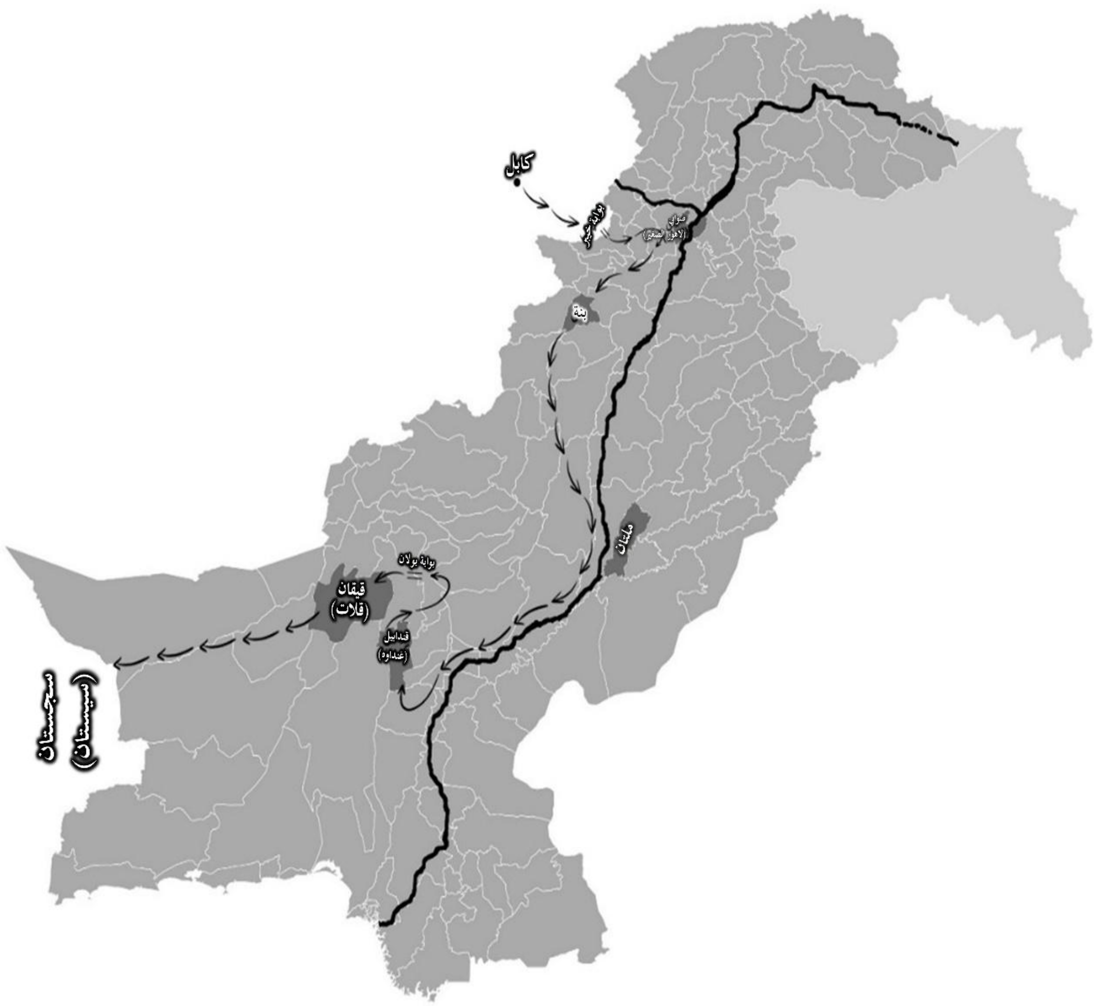
> السجستان بكسر أوّله وثانيه، وسين أخرى مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة، ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج، وبينها وبين هراة عشرة أيّام ثمانون فرسخا، وهي جنوبي هراة، وأرضها كلّها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبدا ولا تزال شديدة تدير رحيّهم، وطحنهم كلّه على تلك الرحى.[1]

"يُسمى سجستان اليوم بـ 'سيستان'. هذه هي المنطقة التي تشمل على المناطق الغربية من أفغانستان وبعض مناطق من إيران. تاريخيًا، كانت هذه منطقة كبيرة ومهمة. من بين مدنها 'بست'، و'كركوية'، و'زرنج'.

العديد من كبار العلماء ينتمون إلى هذه المنطقة، أي سجستان. وعلى رأسهم إمام من أئمة الحديث الذي كان من هذه المنطقة : الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسماعيل الأزدي السجستاني. في العصور الوسطى، كانت

1 الحمسي، معجم البلدان، ج3، ص190

عاصمتها مدينة زرنج، التي دمرها تيمورلنك، ولا تزال أنقاضها وآثارها موجودة فيها إلى اليوم.



(هذه الخريطة تُعرض الحملة الطويلة للمهلّب التي استغرقت قرابة عام، والتي تشتمل قدومه إلى مناطق باكستان، والطريق الذي سار عليه خلال معاركه. دخل المهلّب من كابل عبر ممر "دره خيبر" إلى مناطق بإقليم خيبر بختونخوا الباكستاني. ومن هناك توجّه شرقًا حتى صوابي، ثم جنوبًا إلى بنو، ومن ثم دخل إلى إقليم البنجاب حتى نواحي ملتان. بعد ذلك، اتجه على الضفة الغربية لنهر السند نحو مدينة قندابيل (غندواه)، ومن هناك عبر ممر "دره بولان" مرورًا بقيقان (قلات) حتى عاد إلى سجستان. وقعت حملة المهلّب هذه قبل خمسين سنة من قدوم محمد بن القاسم إلى ديبل سنة **711**م. وهكذا يُعدّ المهلّب بن أبي صفرة أول وآخر فاتح وقائد مسلم أدخل الإسلام في أقاليم باكستان الأربعة، بدءًا بخيبر بختونخوا، ثم البنجاب، وبعدها السند، وأخيرًا بلوشستان، وذلك في سنة **664**م الموافق لـ **44**هـ)

قد وصف البلاذري معارك المهلّب التي استغرقت سنة بأكملها بأسلوب يمكن القول فيه إنه "ملأ البحر في قارورة" ففي بضع سطور، قدّم لنا البلاذري النقاط الجوهرية التالية:

1-مسار المعارك العسكرية للمهلّب وأهم منازله، بالإضافة إلى الأماكن التي توقفت فيها جيشه وغزوه وتوجهت إلى طرف آخر من بقعة جغرافية.

2-كانت حملات المهلّب وغزواته من طبيعتها هجومية، ويتّضح لنا ذلك من خلال المفاجئة والمباغتة في غزوه على بنّه. وهذا يدلّ على شجاعته وصلاحياته كقائد عسكري بارع.

3-كان في جيش المهلّب رجال من قبيلته الأزد، الذين شاركوا معه في جميع المعارك تحت قيادته دون أي تردد وخوف، وكانوا سببًا رئيسًا في كثير من انتصاراته.

4- لم يكن المهلّب قائدًا شجاعًا فحسب، بل كان أيضًا شخصًا ذا بصيرة نظرة عميقة؛ فعندما واجه مقاومة شديدة من فرسان الترك في قيقان (قلات)، خرج من ذلك الموقف بنتيجة إيجابية. لقد لاحظ أن أولئك الفرسان، رغم مهاراتهم العالية، لم يضيّعوا وقتهم في التزيين أو الاهتمام بجمال الخيول، إذ كانت ذيولها وأعرافها مقطوعة. وقد أدرك المهلّب من ذلك أن هؤلاء القوم يستخدمون خيولهم كوسيلة لتحقيق غاية، ولا يشغلون أنفسهم بأمور "غير ضرورية". وقد رأى في جانب آخر بأن العرب يهتمون كثيرًا بزينة الخيول، وهو ما يرى في الأدب العربي بالوضح التام، لا سيما في الشعر الذي يزخر بوصف جمال الخيول وذيولها

وأعرافها. وبناءً على هذا الاستنتاج، أمر المهلّب جنوده بأن يقتدوا بهؤلاء الفرسان، وأن يتخلوا عن الزينة الذي ليس من الأمور الضرورية.

ومن هذا الموقف يظهر جانبًا مهمًا من شخصية المهلّب؛ وهو أنه، رغم ما بلغه من نجاح ومكانة عالية، كان قلبه جاهز للتعلم والتغيير وتبنّي الأفكار الإيجابية الجديدة، وهي سمة من أهم سمات العظماء في التاريخ.

معارك المهلب والخيانة العلمية في كتب المستشرقين المعتبرة:

وفي هذا السياق، نرى من المناسب أن ننبه طلاب تاريخ الإسلام إلى نقطة مهمّة، وهي الطريقة التي يتّبعها المستشرقون في كتابة تاريخ الإسلام، حيث يعمدون في كثير من الأحيان إلى إخفاء بعض الحقائق أو ارتكاب خيانة علمية متعمّدة، ويقدمون الأمور بطريقهم الخاص، ألا وهم يضخمون ويكبرون بعض الجوانب الضعيفة ويعطونها أهمية بالغاً ليس من حقها. وفي هذا العصر الذي زاد فيه استخدام واعتماد على المعلومات الموجودة على الإنترنت وشبكات ووسائل التكنولوجيا، زاد حاجتنا الماسّة إلى فهم هذا الأسلوب الذي يتّبعه المستشرقون.

أولًا: في الجزء الثاني عشر من "الموسوعة الإسلامية"(**Islamic Encyclopedia**)، يوجد مقالٌ "جامع" حول شخصية المهلّب، وقد تم الاعتماد فيه على معظم المراجع الإسلامية، مثل: تاريخ ابن خلّكان، وتاريخ الطبري، وتاريخ اليعقوبي، وفتوح البلدان، وتاريخ المسعودي، وغيرها. وجود هذه المراجع يُعطي للقارئ انطباعًا قويًا بأن هذا المقال موثوق جدًا، وأنه يشتمل على جميع التفاصيل المهمّة المتعلقة بشخصية المهلّب. خصوصًا عندما يُذكر فيه،

مثلًا، أن المهلّب هو أول من استعمل الركاب الحديدي بدلًا من الخشبي، وذلك نقلاً عن البلاذري، فإن ثقة القارئ تزداد بهذا المقال، ويظن أن البحث العلمي شامل لكل ما يخصّ شخصية المهلّب ولا يترك مرحلة من مراحل حياته.

لكن، بعد قراءة المقال، نجد أنه يخلو تمامًا من أي إشارة إلى أهم جوانب حكاته مثل: غزو المهلّب على كابل في عام **664**م، ومروره بعد ذلك إلى بنّه، ثم فتحه للاهور، حتى وصوله إلى نواحي ملتان والانتصار على تلك المناطق. وفي جانب آخر نجد ذكر هذه الأمور بالتفصيل في كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير. فهل هذا مجرّد صدفة أو اتفاق؟ أم أنها خيانة علمية وقعها صاحبها بالنية والإرادة؟ أم كتمانٌ متعمّدٌ للحقائق؟! نترك الإجابة عن هذا السؤال للقارئ الكريم.



(كان ركاب السرج على الخيل عند العرب إما من الجلد أو من الخشب، ولكن عندما لاحظ المهلّب في إحدى حملاته أن ركاب فرسان العدو كانت من الحديد، بدأ المهلّب في صنع ركاب من الحديد لفرسانه أيضًا. وكان لهذا التغيير فوائد واضحة في المعركة.)

ثانياً: المهلّب، الذي كان عربي العرق والنسل وكان من قبيلة الأزد، والذي تم ذكره في العديد من الكتب، منها "طبقات ابن سعد" التي قمنا بنقلها أيضًا. وعلى العكس من ذلك، توجد في "موسوعة إسلامية المنشور من ليدن" Encyclopaedia of Islamرأي متعصّب يفيد بأن المهلّب لم يكن عربيًا، بل كان من أصل فارسي. والأمر موضّحة بتفصيل في كتب التاريخ والأنساب. ورغم ذلك، نجد أن المقال المذكور عن المهلّب يبدأ بالإشارة إلى أبي عبيدة، ويصفه بأنه من أصل فارسي. وهذا مثال واضح جدًا ويطلعنا على خيانات المستشرقين ويتكشف أمر المستشرقين. وبعض المسلمون في جنب آخر يعتقد، خطأً، بأن المستشرقين كتبوا عن الإسلام بعد جهدٍ علمي عميق. وما ذكرناه هنا كمثال على خيانتهم مثال واضح على السرقة العلمية والخيانة الفكرية.

يقلّ اهتمامنا بالقراءة بشكل خطير، للأسف الشديد. ويستمر هذا في التناقص بشكل تدريجي في الأمة الإسلامية وعند شعبنا الباكستاني وخاصة عند شبابنا. وفي جانب آخر فإن الاعتماد على الإنترنت وعلى المعلومات المتوفرة فيها تسبب توثيق وقبول وانتشار المعلومات التي ليس لها علاقة بالحقائق قطعا. والأمر يستدعي الانتباه إلى هذا الأمور الخطير لجميع أفراد المجتمع الإسلامي عامة وبالعلوم الإسلامية، بما في ذلك الباحثين والعلماء والأساتذة والطلاب خاصة وأن يقوموا بخطط ضد هذه الحملات العلمية.

ومع استخدام الإنترنت والرجوع إليها بالكثرة، أصبح التعرف على الخفاء

والكتمان[1] والتدليس[2] في العلوم الاجتماعية أمر صعب، وهذا سيكون أصعب وأشد الأمور بمرور الزمان. ومع ذلك، فإن هذا هو مجرد إشارة ضمنية بالنسبة للباحثين الجادين. وليس هذا موضوعنا الرئيسي الآن، ورأينا من المناسب أن نقوم بالإشارة إليه هاهنا، فقد عرضناه مع أمثلة عملية والواقعية أمام القارئ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"!!

1 كِتْمَانٌ: كِتْمَانٌ تعني إخفاء شيء وامتناع عن التحدث عنه.

2 التَّدْلِيسُ: التدليس في اللغة تأتي في معنى : إخفاء شيء وسترته. أما في الاصطلاح، فإنه: خداع، غش، خيانة، وتقليل. في سياق تاريخ الإسلام، يُمكن أن يشير هذا المصطلح إلى نشر مقال يتعلق بموضوع ما يحتوي على رأي غير موثوق أو رأي غير معروف يتم تقديمه بشكل رئيسي وكأنّه الرأي السائد، مما يؤدي إلى تغيير جوهري في الموضوع أو جعله محط خلاف. وهذا نوع من الخداع العلمي.

الفصل الرابع

مواقفه الأصولية وفتنة خوارج

الفصل الرابع:
مواقفه الأصولية وفتنة خوارج

الوفاء بالخلفاء الراشدين كجندي

المهلب بن أبي صفرة أدرك في شبابه زمن الخلفاء الراشدين، وكان يشارك منذ خلافتي عمر وعثمان -رضي الله عنهما- في المعارك العسكرية التي كانت تتوجه نحو فارس وما بعدها من مناطق الشرق والشمال. من بين هذه المهمات العسكرية، كانت أهمها من كابل إلى نحو مناطق باكستان الحالية، وهي التي كان محور الفصل الثالث من هذا الكتاب، والتي تشكل في جانب ما السبب الرئيسي لتأليفه. بدأتْ هذه المهمات واكتملت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان. قبل عهد معاوية، كان المهلب جنديًا وفيّا ومخلصًا لأمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وكان يقاتل دائمًا في صفوفه، وكان يعارض الفتن الخطيرة التي نشأت في زمن سيدنا علي-رضي الله عنه وخاصة المعروفة ب فتنة الخوارج. أما بعد استشهاد سيدنا علي رضي الله عنه، استمر المهلب في أداء مهامه بإخلاص في مختلف المناطق في زمن الأمير معاوية-رضي الله عنه.

بيعة سيدنا عبدالله بن الزبير

عندما توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان، كان المهلب في مهمة عسكرية ضد سمرقند بأمر من والي خراسان مسلم بن زياد. وعند سماع مسلم بن زياد خبر وفاة معاوية، أخذ البيعة لنفسه حتى يتم تعيين خليفة جديد. ولكن بعد أيام قليلة، نقض أهل خراسان البيعة، فعيّن مسلم بن زياد المهلب بن أبي صفرة

نائبًا له في خراسان، ثم توجه إلى الشام.

عندما كان المهلب بن أبي صفرة مشغولا في مهمة عسكرية إلى نواحي سمرقند بأمر من والي خراسان مسلم بن زياد، قد توفي الأمعر معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه. وعندما سمع مسلم بن زياد خبر وفاة معاوية، أخذ البيعة لنفسه حتى يتم تحديد الخليفة التالي. لكن بعد أيام قليلة، نقض أهل خراسان البيعة، فعين مسلم بن زياد المهلبَ بن أبي صفرة نائبًا له في خراسان وتوجه هو بنفسه إلى الشام.

عندما بدأت بيعة يزيد بن معاوية بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، ابتعد المهلب عن هذه البيعة ولم يقبل أن يصبح جزءًا من حكومة بني أمية حينئذ. ثم بعد استشهاد الحسين بن علي-رضي الله عنه، عندما أعلن عبدالله بن الزبير-رضي الله عنه- (حفيد سيدنا أبي بكر الصديق) الخلافة من أرض الحجاز ضد بني أمية، اتخذ المهلب بن أبي صفرة موقفًا مبدئيًا وبايع عبد الله بن الزبير وانضم إلى جيشه. ظل المهلب وفياً لعبد الله بن الزبير حتى استشهاده، وكان يقاتل في صفوفه. كما كان يقاوم كل من يعارض عبد الله بن الزبير، وبالخصوص : بنو أمية والخوارج الذين كانوا من أكبر أعدائه تلك الفترة.

الفتنة الخوارج

كان عصر عبد الله بن الزبير من أكثر العصور فتنة وخطورة في تاريخ الإسلام. فقد كان الخوارج في البداية أعداء للإمام علي، ثم أصبحوا أيضًا معارضين للإمام معاوية. وبعد وفاته، عندما بدأ عبد الله بن الزبير في أخذ

البيعة لنفسه، كان الخوارج في البداية معه، فساعدوه وقاموا بالقتال في صفوفه. ولكن عندما اكتشفوا أن عبد الله بن الزبير لم يكن مستعدًا للبراءة من الصحابة مثل والده الزبير، وطلحة، وعلي، وعثمان(رضي الله عنهم أجمعين)، تخلوا عنه وتحولوا إلى معارضته. وكان الخوارج يعتقدون أن كل من لا يوافقهم في آرائهم فهو كافر، وبالتالي كانوا يرون أن من لا يكفر الصحابة الذين يعتبرونهم مخطئين، فهو أيضًا كافر. ونتيجة لذلك، ابتعد الخوارج عن عبد الله بن الزبير. هذه الفكرة التي تدعو إلى تكفير المسلمين كانت سمًا قاتلًا للأمة الإسلامية في كل زمان ومكان.

كان عهد الخليفة عبد الله بن الزبير من عام **64** هإلى **73** ه. بعد وفاة يزيد بن معاوية، بايع أهل الحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان عبد الله بن الزبير للخلافة دون أي مقاومة، وبذلك ظلت بعض مناطق الشام ومصر تحت سيطرة بني أمية، بينما كانت المناطق عمليا تحت حكم عبد الله بن الزبير. بعد إعلان عبد الله بن الزبير للخلافة في عام **64** هوحتى وفاته، مر ثلاثة خلفاء من بني أمية وهم: معاوية بن يزيد، ومروان الأول، خلافة عبد الملك بن مروان لعدة سنوات.

حكم معاوية الثاني (أي معاوية بن يزيد) لمدة أقل من عام وتوفي في نفس عام **64** ه. بعد وفاة يزيد. عيّن ابنه معاوية بن يزيد خليفة له، ولكن معاوية بن يزيد لم يستمر في الحكم طويلاً بسبب مرضه حتى توفي. استمر حكمه لبضعة أشهر فقط. وقد ذكر ابن خياط أنه استمر حكمه لمدة شهر ونصف فقط.

وتوفي معاوية بن يزيد بعد أربعين يومًا من وفاة والده يزيد بن معاوية.[1] كما حكم مروان لفترة قصيرة جدًا وتوفي في عام **65** هـ. بعد ذلك، تولى عبد الملك بن مروان الحكم لمدة طويلة وهي عشر سنوات تقريباً.

ظهور مختار بن أبي عبيدة

بعد استشهاد سيدنا الحسين -رضي الله عنه- في عام **61** هـ، نشأ تحركة جديد بين محبي علي -رضي الله عنه- في الكوفة، فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعي. وبعد نقاش طويل، بايعوا سليمان بن صرد على طلب تعويض دم الحسين-رضي الله عنه. وبعد هذه البيعة، بدأ سليمان بن صرد في مراسلة رؤساء العرب بشكل سِرّي، وأقنع بعضهم بقبول مطالبته بتعويض دم الحسين-رضي الله عنه. ومع مرور الوقت، زاد عددهم وشدة تحريضهم وحدة مطالباتهم. حتى عندما توفي يزيد بن معاوية في عام **64** هـ، دعا أتباع صرد الخزاعي إلى الخروج عليه، لكنه طلب منهم التوقف قليلاً. ثم قام أتباعه بالتواصل مع رؤساء الكوفة، وفي النهاية طرد أهل الكوفة والي الكوفة وأبدوا استعدادهم لبيعة عبد الله بن الزبير للخلافة. وبعد مرور بضعة أشهر من وفاة يزيد، دخل مختار بن أبي عبيدة الكوفة وبدأ يطالب بتعويض دم الحسين- -رضي الله عنه- بشكل قوي. زادت شدة هذه المطالبات حينا بعد حين. وعند رؤية هذه الظروف، حاول يزيد أن يَصْمُتَ عبد الله بن الزبير باستخدام الإغراءات الدنيوية. وقد ذكر الخليفة ابن خياط هذا الأمر على النحو التالي:

---

[1] تاريخ ابن خياط، ص **189**

> لما بلغ يَزِيد بْن مُعَاوِيَة أَن أهل مَكَّة أَرَادوا ابْن الزبير عَلَى الْبيعَة فَأبى أرسل النُّعْمَان بْن بشير الْأَنْصَارِيّ وَهَمَّام ابْن قبيصَة النميري إِلَى ابْن الزبير يدعوانه إِلَى الْبيعَة ليزِيد عَلَى أَن يَجْعَل لَهُ ولَايَة الْحجاز وَمَا شَاءَ وَمَا أحب لأهل بَيته من الْولَايَة فَقدما عَلَى ابْن الزبير فعرضا عَلَيْهِ مَا أَمرهمَا بِهِ يَزِيد فَقَالَ ابْن الزبير أتأمراني ببيعة رجل يشرب الْخمر ويدع الصَّلَاة وَيتبع الصَّيْد فَقَالَ همام أَنْت أولى بِمَا قلت مِنْهُ فلكمه رجل من قُرَيْش فَرَجَعَا إِلَى يَزِيد فَغَضب فَحلف لَا يقبل بيعَته إِلَّا وَفِي يَده جَامِعَة.[1]

بهذه الطريقة، أصبح يزيد معارضًا شديدًا لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وملأ قلبه حقدًا وطلبًا للدماء.

رفض عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لبيعة يزيد

بعد استشهاد الحسين، بدأ قبول عبد الله بن الزبير – حفيد الصديق الأكبر – في معظم مناطق الدولة الإسلامية، مثل الحجاز، والعراق، وفارس، وخراسان، حيث كان الناس يميلون إلى بيعته للخلافة. لذلك، حاول يزيد بن معاوية أولاً أن يُسكت و يَصْمُتَ عبد الله بن الزبير بطريق الإغراءات السياسية. وعندما فشل في ذلك، قرر أخذ البيعة منه جبراً. وعيّن بعض الرجال لتكميل هذا الأمر. وكان عبد الله بن الزبير في تلك الفترة مقيمًا في مكة، لذا كلّف يزيد والي مكة

1 تاريخ ابن خياط، ص 186

بهذه المهمة. وقد أوضح الخليفة ابن خياط هذا الأمر في تاريخه بشكل صريح على النحو التالي:

بعث يَزِيد ابْن عضاه الْأَشْعَرِيّ إِلَى ابْن الزبير يَدعُوهُ لبيعته وَمَعَهُ جَامِعَة من فضَّة وبرنس خَز فَقدم عَلَى ابْن الزبير وَهُوَ جَالس بِالْأَبْطح وَمَعَهُ أَيُّوب بْن عَبْد اللَّهِ بْن زُهَيْر بْن أَبِي أُميَّة المَخْزُومِي وعَلى مَكَّة يَوْمئِذٍ الْحَارِث بْن خَالِد بْن الْعَاصِ بْن هِشَام بْن الْمُغيرَة فَكَلمهُ ابْن عضاه وَابْن الزبير ينكت فِي الأَرْض فَقَالَ لَهُ أَيُّوب يَا أَبَا بَكْر أَلا أَرَاك غَرضا للْقَوْم فَرفع ابْن الزبير رَأسه فَقَالَ قُلْتُمْ حلف أَلا يقبل بيعتي حَتَّى يُؤْتى بِي فِي جَامِعَة لَا أبر اللَّه قسمه وتمثل ابْن الزبير:

وَلَا أَلين لغير الْحق أسأله
حَتَّى يلين لضرس الماضغ الْحجر

ثمَّ قَالَ وَالله لَا أبايع يَزِيد وَلَا أَدخل لَهُ فِي طَاعَة.[1]

قبول عبد الله بن الزبير البيعة للخلافة

قابض يزيد بن معاوية على الدولة الإسلامية لمدة ثلاث سنوات وتسعة أشهر واثنين وعشرين يومًا. في السنة **64** هـ بدأ عبد الله بن الزبير بدعوة الناس

1 تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت د. أكرم ضياء العمري، دار القلم بدمشق ومؤسسة الرسالة في بيروت، ط **2**، **1397**هـ، ص **251**

إليه، وفي السابع من رجب **64** هـ بعد وفاة يزيد بن معاوية، بايعه الناس. بعد استشهاد الحسين-رضي الله عنه-، أصبحت الأمة الإسلامية ضد يزيد بقلبها ولسانها. وكان الناس يرون أن عبد الله بن الزبير هو الأحق بالخلافة. وكان يزيد بن معاوية يعلم هذا الأمر جيدًا، ولهذا حاول بكل الطرق أن يُبقي عبد الله بن الزبير بعيدًا عن السياسة، لكنه فشل، وظل عبد الله بن الزبير في الأمور الرياسة وبقى على أقدامه قويًا وثابتا دون أي تراجع. وعلى العكس، زاد قبوله عند الناس بشكل مستمر. ومع كل ذلك، فقد رفض عبد الله بن الزبير أن يبايع بالخلافة من أجل وحدة الأمة، لأنه كان يؤثر ويفضل أمور الأمة على نفسه. لكن في السابع من رجب **64** هـ، وبعد وفاة يزيد، عندما لاحظ تفكك الوحدة السياسية للأمة، بدأ عبد الله بن الزبير في دعوة الناس للبيعة له.

خلافة عبد الله بن الزبير

بعد استشهاد الحسين رضي الله عنه، أصبح يزيد بن معاوية رمزاً للكراهية في الأمة الإسلامية. لكن الحالة العامة لعامة الناس في الأمة الإسلامية كانت تشبه ما أجابه الشاعر فرذوق على سوال الحسين رضي الله عنه:

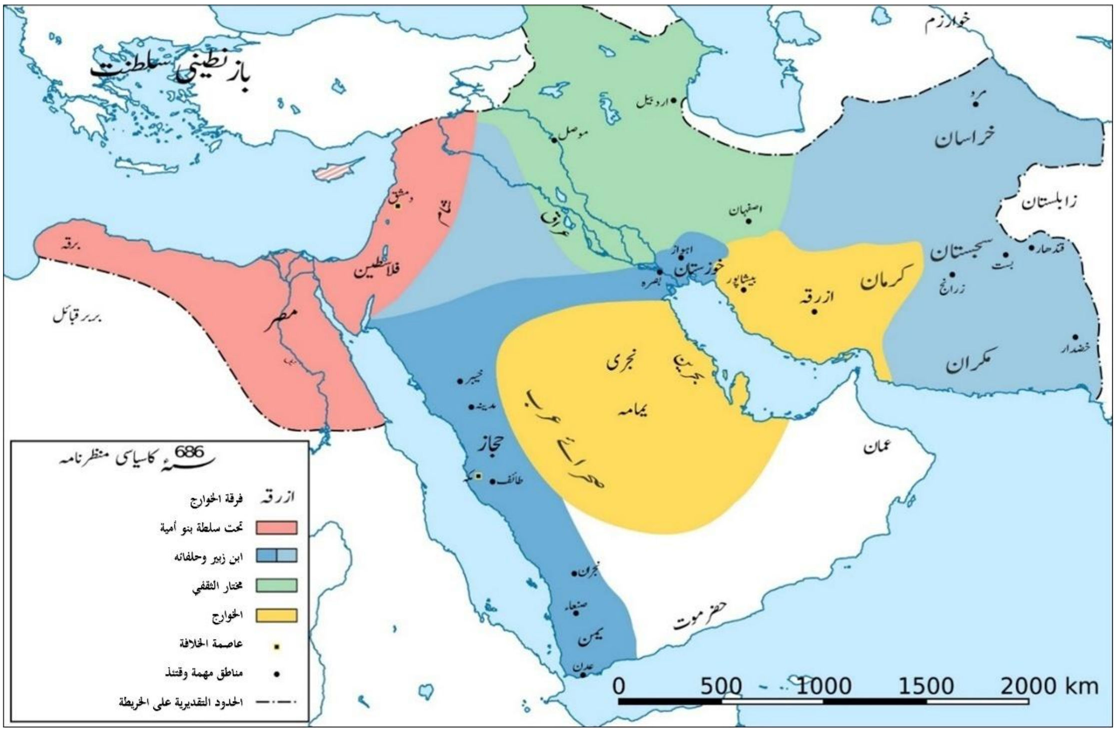
"قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُمَيَّة، والقضاء ينزل من السماء، واللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ"[1]

بعد إعلان البيعة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، بايع الناس في مناطق

---

1 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المعروف بـ تاريخ الطبريالناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية - **1387** هـ ج**5**، ص **386**

مختلفة من الدولة الإسلامية على الفور، وأصبحت حكومة بني أمية مقتصرة عملياً على الشام ومصر.



(الخريطة يوضح المنظر السياسي للأمة الإسلامية عند إعلان الخلافة)

لكن بعد إعلان بالخلافة، واجه الخليفة عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه- العديد من الجماعات العنيفة، بما في ذلك حكومة بني أمية التي كانت لا تزال قائمة في دمشق، وبالإضافة إليه كانت هناك بعض فرق الخوارج مثل "الأزرقية" و"النجدات" قامت ضد الخلافة بعدئذ. وكذا كان هناك المختار بن أبي عبيدة الثقفي. وفي البداية كانت الخوارج والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، من مؤيدي عبد الله بن الزبير، ولكن بدأوا يعارضونه ويخالفونه لأسباب مختلفة.

ولفهم تاريخ الأمة الإسلامية في القرن الهجري الأول، من الضروري فهم

الفتن التي حدثت حينئذ. لأن دون فهمها الكامل، لا يمكن فهم العديد من الأحداث التاريخية والأشخاص الذين شاركوا فيها بشكل صحيح. وفي هذا السياق، يعد فهم شخصية المهلّب بن أبي صفره ودوره في مواجهة أخطر فتنة في ذلك الوقت، والمعروفة باسم "الخوارج"، أمرًا بالغا في أهمته.

بعد وفاة أمير معاوية -رضي الله عنه- في سنة 60هـ، بدأ ظهور فتنة الخوارج بشدتها، وظلت هذه الفتنة قائمة طوال فترة حكم يزيد بن معاوية، التي امتدت من سنة 60هـإلى 64هـ، وكذلك في فترة حكم عبد الملك بن مروان. في هذه الأثناء، كانت حكومة عبد الله بن الزبير قائمة بشكل متوازي في المدينة بين سنوات 63هـو73هـ. كان هذا العصر من أصعب وأخطر الفترات التي مرّت بها الأمة الإسلامية، حيث كانت هناك صراعات عسكرية بين دمشق والمدينة، بالإضافة إلى اضطرابات في مناطق العراق وإيران وشبه الجزيرة العربية. ظهرت حركات ضد الخلافة من الشيعة لسيدنا علي -رضي الله عنه- للتعويض وغيرها ومن الخروج من فرق الخوارج ضد الخلافة حينا بعد حين. وما زال الفتن تظهر بعد وفاة عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- في سنة 73هـ.

لقد استمر هذا العصر المليء بالفتن حتى استشهاد عبد الله بن الزبير في عام 73هـ، ولم تتوقف الفتن بعده.

الخوارج كانوا مصدرًا رئيسيًا للفتن والدمار في التاريخ الإسلامي. تطرفهم، وعنفهم، وأفكارهم التكفيرية المبنية على التعصب والطائفية، وجهلهم عن الأصول العقائد، قد ملأ صفحات تاريخ تلك الفترة بدماء الأبرياء والدمار.

يمكن القول بكل يقين وثقة أن الخوارج في القرن الهجري الأول قد تسببوا في أضرار جسيمة للإسلام والأمة الإسلامية، أكثر من أي قوة خارجية أخرى.

كما يمكن القول بنفس القدر من اليقين أن الشخص الوحيد الذي واجه هذه الفتنة بكل شجاعة وذكاء وحكمة هو أبو سعيد المهلّب بن أبي صفرة. وهذا الباب من الكتاب قد يركز على شخصية المهلب وخصائصه في هذا المجال على شكل خاص.

لقد خاض المهلّب معركة مستمرة ضد أكثر الفرق تطرفًا في الخوارج وأشدهم في القوة، وهي "الأزارقة"، واستمر في معارضتهم ومحاربتهم لمدة سبعة عشر عامًا، وبفضل عزيمته، وشجاعته تمكن من هزيمتهم وقدم مثالا رائعا في تاريخ الإسلام.

الخارجية هي فكرة سلبية تتسم بالتطرف والعنف والتشدد والتفرق، وتنطوي على أعمال إرهابية في المجتمع الإسلامي. وقد ظهرت هذه الفكرة لأول مرة في عهد الخليفة أمير الممنين علي بن أبي طالب-رضي الله عنه، حيث استخدم الخوارج حججًا واهية وعذرًا مزيفًا للتمرد ضد سلطته. ورغم أن هذا النوع من الفكر بدأ يظهر في عهد الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلا أنه بدأ يأخذ شكلاً أكثر تطرفًا في فترة خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. عندما سعى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى تجنب الفتنة وسفك الدماء في معركة صفين، وأراد تحقيق مصالحة بين المسلمين، رفض الخوارج هذا الحل السلمي بشدة، وخرجوا عن جيش علي بن أبي طالب -رضي الله عنه.

الفتنة باسم الجهاد من الخواج

قامت فرقة الخوارج، في هذه الفترة، بإطلاق مصطلح "الجهاد" على تحريض المسلمين ضد بعضهم البعض. واستخدموا شعار ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾ لتحقيق أهدافهم السياسية. لقد منحوا القتال بين المسلمين عنوان "الجهاد"، مما ألحق ضرراً بالغاً بمفهوم الجهاد في الإسلام. من خلال تقديم التصور الإسلامي للحق والصدق في إطار عنيف، قاموا بسفك دماء المسلمين على أيدي المسلمين. هكذا، خدعوا الناس بأسمى الأهداف بينما كانوا في الوقت نفسه يهددون أساسيات عقائد الإسلام ويحاولون تقويضها. استخدموا اسم الجهاد ولكنهم في الحقيقة زادوا الفساد.

وقد لخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هذه عقائدهم في جملة واحدة، والتي تبين بوضوح صحة الموقف حتى في وقتنا الحالي.

كلمة حقٍ أريد بها باطل...[1]

في العديد من كتب التاريخ المشهورة، ورد أنه قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

...إِنْ سَكَتُوا غَمَمْنَاهُمْ، وَإِنْ تَكَلَّمُوا حَجَجْنَاهُمْ، وَإِنْ خَرَجُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ...[2]

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

---

1 مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، حديث نمبر 2468

2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 685

هذه الأقوال من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي تكفي لهدايتنا في الأحوال الفتن ومواجهتها.

عندما قام الخوارج ضد علي رضي الله عنه بالسلاح والسيوف، اتخذوا منطقة 'حروراء'[1] على حدود العراق مركزًا لهم. لقد وجهوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه اتهامات باطلة ومنافية للواقع، مثل الشرك والبدعة، وكذا أعلنوا كفره. وبدؤا المهاجمة ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان هذا بداية القتل والتخريب والإرهاب في الأمة الإسلامية بدرجة كبيرة. وعندما سعى علي رضي الله عنه إلى المصالحة وطلب إيقاف الحروب بين المسلمين بطريق الحكمين وأراد الأمن والسلامة في المجتمع المسلمين، كان أول مبرر للفساد من قبلهم ضد علي رضي الله عنه هو:

"تحكمون في أمر الله الرجال؟ لاحكم إلا ِلله."[2]

سبب تسمية الخوارج:

إنّ تسمية "الخوارج" مأخوذة من سلوكهم ومعاملتهم وفعلهم، أي "الخروج" على الإمام الشرعي الذي بايعته جماعة المسلمين. ومنذ ظهورهم إلى يومنا هذا، أجمع علماء الأمة في جميع المذاهب الإسلامية على أن هؤلاء الخوارج قد خرجوا عن روح الإسلام الحقيقي بسبب أعمالهم المتطرفة، ومعتقداتهم التكفيرية،

1 حروراء: كانت قرية تقع بالقرب الكوفة، وكان يجتمع فيها الخوارج. وبناءً على ذلك، كان يُطلق على الخوارج اسم 'حروري' أو 'حرورية' أو 'أهل حروراء'."

2- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج: 2، ص672،

وإباحة دماء المسلمين، ولذلك سمّوا "خوارج."

1ـقال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني رحمه الله في تعريف الخوارج في كتابه الملل والنحل:

كل من خرج عن الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمىٰ خارجيًا سواءً كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان.[1]

2ـذكر امام نووی تعريف 'الخوارج' حسب التالي

الخوارج: صنف من المبتدعة يعتقدون أن من فعل كبيرة كفر، وخلد فى النار، ويطعنون لذالك فى الأئمة ولا يحضرون معهم الجمعات والجماعات.[2]

3ـيقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

كانوا أهل سيف وقتال، ظهرت مخالفتهم للجماعة؛ حين كانوا يقاتلون الناس وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس... ومروقهم من الدين خروجهم باستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم.[3]

---

1 الشهرستانى، الملل والنحل: **114**

2 النووى، روضة الطالبين وعمدة المفتيين، ج**10**/ ص **51**

3 ابن تيميه، النبوات، ج**1**/ ص**564**

4ـ توجد أيضاً آراء حول الخوارج في كتاب 'مجموع الفتاوى' لشيخ الإسلام ابن تيمية رح، حيث يبيّن فيها موقفه منهم، ويقول:"

أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إِلَى زَمَنِ الدَّجَّالِ. وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ لَيْسُوا مُخْتَصِّينَ بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ.[1]

5ـ يقول الحافظ ابنِ حجر العسقلاني رح في 'فتح البارى' بأنهم :

الخوارج: فهم جمع خارجة أى طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين[2]

6ـ وأما العلامة ابن نجيم حنفى ذكر تعريف 'الخوارج' حسب التالي:

الخوارج: قوم لهم منعة وحمية خرجوا عليه بتأويل يرون أنه على باطل كفر أو معصية توجب قتاله بتأويلهم يستحلون دماء المسلمين وأموالهم[3]

نشأة أول جماعتين من الخوارج

بعد وفاة يزيد، رجعت الجيوش الشامية التي كانت قد حاصرت مكة ضد عبد الله بن الزبير، إلى الشام. أما الخوارج، الذين كانوا يدعمون عبد الله بن

1 شيخ الإسلام ابن تيميه، مجموع الفتاوىٰ، جلد 28، ص 296

2 ابن حجر عسقلانى، فتح البارى، ج12، ص 283

3 العينى، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج5، ص 151

الزبير ويقاتلون الأمويين، فقد بدأوا فجأة يبحثون عن فرص التفرقة والتشتت عن الجماعة وعنه، وهذا كان من فطرتهم.

تشهد كتب التاريخ الإسلامي أن هدف الخوارج الحقيقي كان دائمًا إثارة الفتن في الأمة الإسلامية، ونشر الأفكار المتشددة، وسفك الدماء باسم الدين. وفي ذلك الزمن من تاريخ الإسلام الحساس، وقد استمروا على طبيعتها الداعية إلى التشتت والتفريق. فقد كانوا يعادون جميع الخلفاء: عثمان، وعلي، ومعاوية، رضي الله عنهم جميعًا.

ولذلك، سعوا للانفصال عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- وهو بطريق التساؤلات عنه حول الخليفة عثمان رضي الله عنه. فإن لم يكن يعارضه أو يذمه كما يفعله الخوارج، فإنهم يكفّرونه ويفارقونه بناءً على فكرتهم المتطرفة التي ترى أن من لا يسبّ من يسبّونه، فهو مثلهم في "الضلال."

لا تزال هذه النزعة الطائفية المتشددة موجودة بيننا اليوم بأشكال مختلفة، بالأسف الشديد. وقد نقل ابن خياط قصة نزع وانفصال الخوارج عن عبد الله بن الزبير كالتالي:

فَقَالَت الْخَوَارِج بَعْضهَا لبَعض أَلا تسألونه عَن عُثْمَان
مَا قَوْله فِيهِ فَأتوهُ فَقَالُوا لَهُ مَا قَوْلك فِي عُثْمَان فَالْتَفت
فَرَأى فِي أَصْحَابه قلَّة فَقَالَ روحوا إِلَى العشية وَأمر
أَصْحَابه أَن يحضروا وَحَضَرت الْخَوَارِج فَقَالُوا مَا قَوْلك
فِي عُثْمَان قَالَ أتولاه حَيا وَمَيتًا قَالُوا برِئ الله مِنْك ثمَّ

انصرفوا فَخرج نجدة بِالْيَمَامَةِ وَخرج نَافِع بْن الْأَزْرَق بِالْبَصْرَةِ وَتَفَرَّقَتْ الْخَوَارِج.[1]

معتمداً على ما ذكره الإمام الشهرستان في كتابه "الملل والنحل"، قدّم العلّامة المصري الشهير الشيخ محمد أبو زهرة[2] رحمه الله تعريفًا تفصيليًا وشاملًا بفرق الخوارج المختلفة، وكان من أبرز هذه الفرق: "الأزارقة" و"النجدات"، وقد عرّفهما على النحو التالي:

الأزارقة:

هم أتباع نافع بن الأزرق الذي كان من بني حنيفة وكانوا أقوى الخوارج شكيمة، وأكثرهم عدداً وأعزهم نفرا، وهم الذين تلقوا الصدمات الأولى من ابن الزبير والأمويين، وقد قاتل الخوارج بقيادة نافع قواد عبد الله بن الزبير، وقواد الأمويين تسع عشرة سنة. وقد قتل نافع في ميدان القتال، ثم تولى بعده نافع ابن عبيد الله، ثم قطري بن الفجاءة.

وفي عهد قطرى كان الذي يحارب الخوارج من الأمويين داهية قوادهم المهلب ابن أبي صفرة فكان قبل الواقعة التي يتقدم بها يثير خلافهم، فتحتدم المناقشة بينهم احتداماً شديداً، ثم يلقاهم وهم على هذا الخلاف، ولذا أخذ شأن

---

1 تاريخ خليفه ابن خياط ص 253

2 الشيخ محمد أبو زهرة (1917-2002م) كان واحدًا من أعلام الفقه والشريعة في العالم الإسلامي في القرن العشرين. وُلد في مصر، وكان له دور بارز في تأصيل الفقه الإسلامي وتطويره في العصر الحديث. عمل كأستاذ في كلية الشريعة بجامعة فؤاد (التي أصبحت جامعة القاهرة لاحقًا)، حيث درّس الفقه الإسلامي وكان له تأثير كبير في إعداد العديد من العلماء والفقهاء المعاصرين.

الخوارج يضعف في عهد قطرى هذا، لاختلافهم فرقاً من جهة ولأثر هذا الاختلاف في مواقفهم في عيدان القتال من جهة ثانية، وتألب المسلمين عليهم من جهة ثالثة، وغلظتهم في معاملة مخالفيهم من جهة رابعة.

وقد توالت هزائمهم الأمويين حتى انتهى أمرهم.

في عهد قطري، بدأ الزوال لهذه الفرقة، لأن الناس بدأوا يكرهون الخوارج بسبب سفك دماء المسلمين وقسوة قلوبهم، وأصبح هناك شعور بالانتقام والعناد ضدهم بين المسلمين. كما بدأ التفرقة فيما بين الخوارج أنفسهم حتى قاتلوا فيما بينهم. وبالتالي، توالت هزائمهم في كل معركة، وهذا السبب الذي أدى إلى نهاية أمرهم بعد القطري.

كانت معتقداتهم عمومًا هي نفسها التي تم ذكرها سابقًا، مع إضافة ما يلي:

(أ) أنهم يرون عامة المسلمين بأنهم مشركين كلهم.

(ب) ومن خالفهم فهم مشركون كلهم.

(ج) أكفروا القعدة عن القتال (ويباح قتله).

(د) بأن أطفال المشركين (مخلدون) في النار مع آبائهم.

(ه) وأن دار المخالفين دار حزب يستباح فيها نهب أموالهم وسبى الأولاد والنساء، وبالتالي يباح استرقاق مخالفيهم

(و) أنهم لا يقرون حد الرجم، ويقولون ليس في القرآن إلا حد الجلد للزانى والزانية، فحد الرجم لم يجيء في القرآن.

(ز) ومن معتقداتهم بأنه يجوز على الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر

النجدات

هم أتباع نجدة بن عويمر من بني حذيفة، وقد خالفوا الأزارقة، في تكفير قعدة الخوارج واستحلال قتل الأطفال كما خالفوهم في حكم أهل الذمة الذين يكونون مع مخالفيهم، ومع ذلك قال النجدات أنه تباح دماؤهم (أي الذمي والمعاهد) كما أبيحت دماء من يعيشون في كنفهم من المسلمين.

والنجدات أيضاً يرون أن إقامة إمام ليست واجباً شرعياً بل هي واجب وجوباً مصلحياً، بمعنى أنه إذا أمكن المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم وينفذوه لم يكونوا في حاجة إلى إقامة إمام.

والنجدات قد أتوا بمباداً عند الخوارج لم يسبقهم أحد إليه من الخوارج وهو مبدأ التقية. بأن يظهر الخارجى أنه جماعي حقنا لدمه، ومنعاً للاعتداء عليه. ويخفى عقيدته حتى يحين الوقت المناسب لإظهارها.

وأتباع نجدة كانوا في الأصل باليمامة مع أبي طالوت الخارجي، ولكنهم تركوه: وبايعوا نجدة سنة ست وستين 66هـ، فعظم أمره وأمرهم حتى استولى على البحرين، وعمان، وحضرموت، واليمن، والطائف.

ثم كانوا كشأنهم يختلفون في أمور ثانوية ثم ينقسمون عقب ذلك الاختلاف. لقد اختلفوا على نجدة أميرهم لأمور نقموها عليه:

منها أنه أرسل ابنه في جيش فسبوا نساء المسلمين، وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة. فالنجدة قبل عذرهم وعفا عنهم.

ومنها أنه تولى (المناصب) لأصحاب الحدود من أصحابه وقال: لعل الله

يعقو عنهم، وإن عذبهم في غير النار، ثم يدخلهم الجنة.

ومنها أنه أرسل جيشاً في البحر، وجيشاً في البر، فلم يعدل بينهما وفضل الذين بعثهم في البر عطاءًا.

وقد تفاقم الاختلاف حول هذه الأمور واشتد، وقد انقسموا لهذا إلى ثلاث فرق:

(1) فرقة ذهبت إلى سجستان مع عطية بن الأسود واختاروها مسكنا لهم.

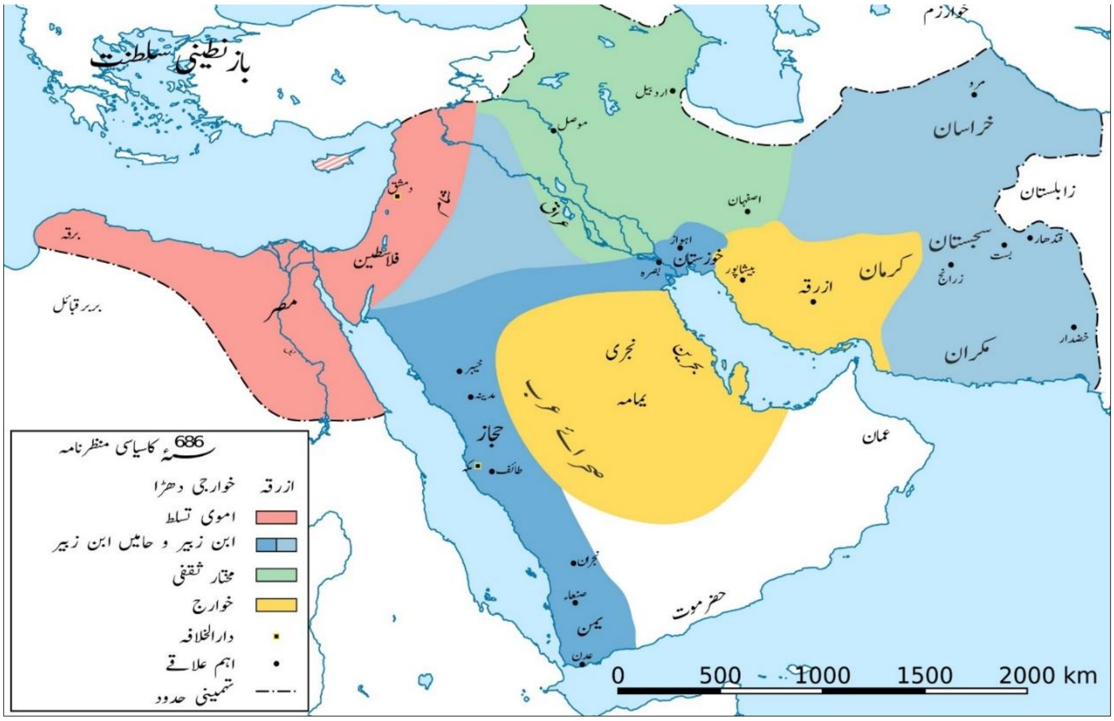
(2) وفرقة ثانية في محبة "أبا فديك"، ثارت على نجدة وقتلته وأقامته مقام نجدة.

(3) والفرقة الثالثة هي التي بقيت موالية لنجدة وعذرته (تصرفت عن أخطاء نجدة) وما قامت بتعقيبه، بل عاملته بلين.

ومن ثم بقي اسم "النجدات" يُطلق على أتباع هؤلاء. وبعد نجدة، جاءت زعامة هذه الفرقة كذلك إلى أبي فديك، حتى أرسل عبد الملك بن مروان جيشًا للقضاء عليهم، فدمّرهم تدميرًا شاملًا. قُطع رأس أبي فديك وأُرسل إلى عبد الملك بن مروان، وبهذا اندثرت هذه الطائفة إلى الأبد.[1]

---

1 ينظر للتفصيل: الشهرستانى، الملل والنحل، ج1، ص 114-124



(هذه الخريطة تظهر لنا الصراعات السياسية والعقدية التي شهدتها الأمة الإسلامية في ذلك العصر، ويُظهر كيف انقسمت الأمة بتلك الفتن. ومن خلال هذا السياق المضطرب، سنفهم بالسهولة عن المهمات العسكرية التي قادها المهلب)

المهلب والتمسك بالحق في السياسة

بعد مبايعة أمير معاوية رضي الله عنه بالخلافة، بذل المهلب بن أبي صفرة جهوده ومهاراته لخدمة الدولة الأموية، فشارك في مهمات عديدة في مناطق كرمان، وسجستان، وبلوشستان، ومكران، وكان قائداً في الفتوحات الممتدة من كابل إلى ملتان، ومن هناك إلى مناطق قيقان. كما كان له دورٌ كبير في المهمات العسكرية نحو سمرقند.

غير أنه بعد وفاة معاوية رضي الله عنه، وظهور مسألة بيعة يزيد بن معاوية،

اتخذ المهلب موقفاً مبدئياً، فرفض الاستمرار في دعم الحكم الأموي، ومال إلى جانب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وأصبح من أبرز رجاله الموثوقين.

وقد كلّفه عبد الله بن الزبير بمهمة القضاء على فرقة الأزارقة، وهي من أخطر فِرَق الخوارج وأكثرها تطرفاً. وقد كانت الأزارقة جماعة شديدة البأس في القتال، لكن المهلب واجههم بشجاعة وبُعد نظر وحكمة فائقة، حتى اضطرهم إلى الفرار من مدينة البصرة، فتنفس أهل البصرة بالأمة والسلامة. ونتيجة من هذا الانتصار على الفتنة أطلق أهل المدينة على البصرة لقب "بصرة المهلب" تكريماً له ولجهوده وهذا هو شرف أعطاه أهل بصرة لم يُمنح لغيره.

لقد ضرب المهلب مثلاً فريداً في مواجهة فرقة متطرفة من الخوارج التي أجمعت الأمة على تكفيرها، وهو مثال لا يزال يُقتدى به حتى اليوم. فإن القضاء على مثل هذه الفرق التي تحمل أفكاراً هدّامة ومتطرفة، لا يتحقق إلا بوجود شخصيات عظيمة الشجاعة كالمهلب.

المهلب : حاكم على العراق والبصرة

يُعتبر المهلب في تاريخ الإسلام شخصية فريدة، يكاد يظهر في كل لحظة من حياته التاريخية واقفًا في الصف الصحيح، ومقاتلًا من أجل الموقف الحق. ولذلك، بعد أن أعلن عبد الله بن الزبير خلافته، وقف المهلب إلى جانبه بثبات وشجاعة، وظل وفيًّا له حتى وفاته، كان مخلصًا له في كل وقت.

وقد وصف ابن خلكان هذا الدور الذي أدّاه المهلب، وسلوكه خلال تلك الفترة، في كتابه "وفيات الأعيان" بأسلوب يُظهر مكانة المهلب العالية ووفاءه

الثابت.

وكان المهلب المذكور من أشجع الناس، وحمى البصرة من الخوارج، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز استقضى أبو العباس المبرد في كتابه الكامل أكثرها، فهي تسمى بصرة المهلب لذلك، ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفاً منها.

وكان سيداً جليلاً نبيلاً، روي أنه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي، وهو يومئذ بمكة، فخلا به عبد الله يشاوره، فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال: من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال: أو ماتعرفه قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة، قال: نعم، فقال المهلب: من هذا يا أمير المؤمنين قال: هذا سيد قريش، فقال: فهو عبد الله بن صفوان، قال: نعم.

قال ابن قتيبة في المعارف: ولم يكن يعاب بشيء إلا بالكذب وفيه قيل: راح يكذب،[1] ثم قال ابن قتيبة بعد هذا: وأنا أقول: كان المهلب أتقى الناس لله عزوجل،

---

1 ابن قتيبة، المعارف (1/ 399)

وأشرف وأنبل من أن يكذب، ولكنه كان محرباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة، وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها من غيرها، يرهب بها الخوارج، وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون: راح يكذب، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حرباً ورى بغيرها.

وقال أبو العباس المبرد في الكامل في شرح أبيات رمي فيها المهلب بالكذب، ما صورته: وقوله الكذاب لأن المهلب كان فقيهاً، وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله " كل كذب يكتب كذباً إلا ثلاثة: الكذب في الصلح بين الرجلين، وكذب الرجل لامرأته يعدها، وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد".[1]

بعد وفاة يزيد، قتل نافع بن الأزرق نائب والي البصرة واستولى على المدينة، وأطلق **140** من الخوارج الذين كانوا في السجون. وفي نفس الوقت، بايع أهل البصرة عبد الله بن الزبير. فعيّن عبد الله بن الزبير عمير بن عبيد الله التيمي واليًا على البصرة، الذي كان من بني تميم القريشي. قام عمير بن عبيد الله بإخراج الخوارج من البصرة، حيث أخذوا الأهواز ملجأهم، وواصلوا حملاتهم على المناطق المتجاورة بالبصرة.

---

1 ابن خلكان، وفيات الأعيان، (ج : **5**، ص **351**)

وعندما اشتد أمر الخوارج ووزادت هجماتهم على أهل البصرة، أرسل عمير بن عبيد الله التيمي جيشًا إلى الأهواز لملاقاة الخوارج، حيث قتلوا قائدهم نافع بن الأزرق في عام **685**م. بعد ذلك، اختار الخوارج قطري بن الفجاءة قائدًا جديدًا لهم، وهاجموا جيش عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه- وألحقوا به خسائر كبيرة. وبعد هذه الهزائم، قرر عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- إرسال المهلب بن أبي صفرة ضدّ الخوارج.[1] وفي عام **686**م، قتل المهلب قطري بن الفجاءة في معركة سابور، مما ننج على عودة الخوارج إلى مناطق فارس.

وبجهود المهلب، تمكّن أهل البصرة من التنفس الصعداء، حيث أصبحت المدينة محفوظ من هجمات الخوارج. وفى هذه الأثناء، عيّن عبد الله بن الزبير المهلب واليًا على الموصل في شمال بغداد بدلا من مهمات ضد الأزارقة. كان من المفروض أن يدافع الموصل من هجمات الخلافة الأموية ومهمات العسكرية من جانب المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

وأخذ الخوارج هذه الفرصة.... وعادوا إلى العراق وهاجموا المدائن والبصرة، فقرر عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- وأهل البصرة بأن المهلب هو الرجل الوحيد الذى يقدر على التصدي لهم. وبالفعل، استطاع المهلب بمفرده أن يحدد الخوارج إلى مناطق فارس وكرمان، ولم يستطع الخوارج أي تقدما إلى مناطق العراق. واستمر الأمر كذلك حتى وفاة عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه. وبعدئذ بدا استيلاء عبد الملك بن مروان على العراق. وفي البداية، نازل عبد

1 المبرد، الكامل في اللغة والأدب ج**3**/ ص**240**

الملك بن مروان المهلب من قيادة الجيش، مما أدى إلى ضعف الأمويين في العراق وهزيمتهم ضد الخوارج. وفي نهاية الأمر قدم عبد الملك بن مروان رأيه أمام حجاج بن يوسف لإعادة قيادة الجيش إلى المهلب، حيث فهم الأمر بأن المهلب هو الشخص الوحيد الذى يستطيع السيطرة على الخوارج.

الحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة

كان الحجاج بن يوسف الثقفي أحد أعمدة حكم الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد عُيِّن واليًا على العراق في سنة **694**م. وكان الحجاج صهر المهلب، كما كان على معرفة تامة عن مهاراته العسكرية وقدراته وشجاعته، وأيضًا كان على علم بشجاعة قبيلته الأزد. لذا، أوصى الحجاج الخليفة بتعيين المهلب في منصب عسكري مهم. وبفضل هذه الثقة، استطاع المهلب أن يحقق الانتصارات المتتالية الضد فرقة الأزارقة من الخوارج.

في البداية، نجح المهلب في دفع الخوارج إلى منطقة كرمان، وهناك انقسمت جماعتهم إلى مجموعتين، مما سهل عليه السيطرة. وبعد ذلك، تمكن من القضاء عليهم تمامًا وانتهى خطرهم بتمامها.

أساليب المهلب النفسية في محاربة الخوارج

كان المهلب قائدًا عسكريًا عظيمًا، وقد عُرفت تلك الفترة بكفاءته في القيادة والحروب. لكنه لم يقتصر على استخدام القوة والسلاح، بل كان يحرص على ضرورة استخدام الأساليب النفسية أيضًا لتحقيق النصر والنجاح.

وقد استخدم المهلب هذه الأساليب بمهارة كاملة ضد أخطر فرقة الخوارج في زمانه. وقد استند المهلب في استخدامه لتلك الوسائل إلى حديث النبي ﷺ الذي قال فيه" :الحرب خدعة"، أي أنه يجوز خداع العدو في الحرب إذا كان ذلك يؤدي إلى نتائج إيجابية ونصر على العدو، وما نسميه اليوم بـ"الحرب النفسية**(Psychological Warfare)** ".

استخدم المهلب هذا الأسلوب الحربي بطريقة منظمة ضد أعدائه. ويُعتبر من أوائل القادة في التاريخ الإسلامي الذين طبّقوا هذا النوع من الحرب بشكل فعّال.

استطاع المهلب أن يحمي الأمة من فتنة الخوارج المتشددة والمثيرة للاضطراب، في عهد الدولة الأموية. لقد استغل المهلب جميع نقاط الضعف السياسية والدينية والعقائدية والفكرية لدى الخوارج، واعتبر ذلك جزءًا من مهامه العسكرية.

كانت فرق الخوارج متطرفة في أفكارها، وكانوا يختلفون فيما بينهم في كثير من الأمور الفرعيـة، باستثناء بعض المبادئ الأساسية والأصولية. وقد أدّت هذه الخلافات الداخلية إلى ضعفهم وهزيمتهم على المستوى الفكري.

استغل المهلب هذا الضعف الصغير والفرق بين الفرق بذكاء؛ حتى إن لم يكن بينهم خلاف ظاهر، كان يرسل من يُثير الفتنة بينهم بإشاعة أو فكرة معينة، فتحدث الانقسامات، ويبدأ القتال بينهم، حتى يضعفوا أو يفنوا أنفسهم.

وكان المهلب يصف هذه الخطط بما جاء في حديث النبي ﷺ" :الحرب

خدعة"، أي أن الخداع في الحرب وسيلة مشروعة إذا كان الهدف هو النصر.

بعد مرور قرون، في زماننا هذا، فقد بدأ المتخصصون في الشؤون العسكرية والأمنية، بتسمية هذه الأساليب بـ"الحروب النفسية" أو "الحرب الهجينة" وغيرها من المصطلحات العسكرية الحديثة.

خدعة حربية مثيرة للمهلب

ذكر ابن أبي الحديد، وهو الشارح المعروف لكتاب نهج البلاغة، في شرحه عددًا من الوقائع التي جرت بين المهلب والخوارج. ومن بين هذه الوقائع، نذكر هنا خلاصة إحدى الحيل الحربية[1] التي استخدمها المهلب ضدهم:

> "أن رجلا حدادا من الازارقة، كان يعمل نصالا مسمومة، فيرمى بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى، فقال له : ألق هذا الكتاب في العسكر والدراهم، واحذر على نفسك - وكان الحداد يقال له أبزى - فمضى الرجل.

1 ابن ابى الحديدى، شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، االمحقق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ااالناشر:دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، بغداد، ج1، ص 401

وكان في الكتاب : أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلى، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال.

فوقع الكتاب إلى قطرى، فدعا بأبزى، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدرى، قال : فما هذه الدراهم ؟ قال : لا أعلم، فأمر به فقتل.

فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة، فقال له : أقتلت رجلا على غير ثقة (1) ولا تبين ! قال قطرى : فما حال هذه الالف ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذبا، ويجوز أن يكون حقا، فقال قطرى : إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا، وليس للرعية أن تعترض عليه.

فتنكر له عبد ربه في جماعة معه، ولم يفارقوه.

وبلغ ذلك المهلب فدس إليهم رجلا نصرانيا، جعل له جعلا يرغب في مثله، وقال له : إذا رأيت قطريا فاسجد له، فإذا نهاك فقل : إنما سجدت لك، ففعل ذلك النصراني، فقال قطرى : إنما السجود لله تعالى، فقال ما سجدت إلا لك، فقال رجل من الخوارج : إنه قد عبدك من دون الله، وتلا : (إنكم وما تعبدون من دون الله

حصب جهنم أنتم لها واردون) (2)، فقال قطرى : إن النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم، فما ضر عيسى ذلك شيئا.

فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر قطرى ذلك عليه، وأنكر قوم من الخوارج إنكاره.

وبلغ المهلب ذلك، فوجه إليهم رجلا يسألهم، فأتاهم الرجل، فقال : أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغ الاخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميت فمؤمن من أهل الجنة، وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة.

وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيز المحنة، فكثر الاختلاف.

وخرج قطرى إلى حدود إصطخر، فأقام شهرا، والقوم في اختلافهم."[1]

هذه الواقعة الذي كتبها ابن أبي الحديد تظهر بأنه كيف استخدم القائد الأعظم المهلب الحكمة والتخطيط لإشعال نار الخلاف بين الخوارج، وكيف استغل بساطتهم وقلة فهمهم بشكل كامل. وبسبب إدراكهم الضعيف، جعلهم

1 بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج4، ص 197-198

يتقاتلون فيما بينهم، مما أدى إلى ضعف قوتهم، وفقدان قدراتهم على مواجهة أعدائهم.

والحقيقة أن الخلافات بينهم كانت موجودة أصلًا من داخلهم، ولم تكن دائمًا من الخارج. ولهذا السبب، انقسموا وتفرّقوا إلى عدة فرق.[1]

من خلال هذه الرواية، نكتشف جانبًا مهمًا من شخصية المهلب العسكرية، فهو لم يكن قائدًا شجاعًا وجريئًا في ميادين المعركة فقط، بل كان رجلًا حكيمًا وذكيًا. كان على علم تام بأن مواجهة العدو لا تقتصر على السيف والرمح، بل لا بد من زرع الانقسام والاضطراب الفكري داخل صفوفه. وكان يرى أن هذا طريق أفضل لتوليد الإضعاف بين العدو.

ولم يعبّر المهلب عن هذا الفهم من خلال أفعاله فقط، بل كان يكرّره في خطاباته ورسائله. ومن أبرز ما يُظهر هذا الجانب، الراسائل التي جرت بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي تحمل أهمية كبيرة وطابعًا مثيرًا.

الحجاج، المعروف في التاريخ الإسلامي بقسوته وشدّته، لم يكن في البداية مقتنعًا بأساليب المهلب، وكان يظن أن تأخير المعارك ومناورات المهلب نوعٌ من التهرب من القتال. بالنسبة للحجاج، كان الحل لكل مشكلة هو استعمال القوة المباشرة، والسيف بداية ونهاية.

لكن شخصية المهلب وحكمته تمكنتا مع الوقت من إقناع الحجاج، من

---

1 حياة حضرت امام ابوحنيفه، مصنف ابوزُهره مصرى، المترجم غلام احمدحريرى، ملك سنز ببلشرز، فيصل آباد، باكستان، ص 227 تا 231

خلال رسائل متعددة، بأن القوة ليست دائمًا هي الحل، وأنه يمكن بذكاء التخطيط أن تُزرع الفتنة في صفوف العدو، فيبدأ العدو في تدمير نفسه بيده. وهكذا تتحقق أهداف عديدة بدون ضياع الأموال والأنفس.

وذُكر أن الحجاج بسبب غضبه، أرسل إلى المهلب رسالة مليئة بالتوبيخ، وسأله فيها مستنكرًا: "لماذا تؤخّر (في المعارك) رغم أنك لستَ جبانا!" وكتب رسالة إلى المهلب:

كتاب الحجاج إلى المهلب:

أما بعد،

فإنك جبيت الخراج بالعلل، وتحصنت بالخنادق، وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا، وأكثر عددا، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا، ولكنك اتخذتهم أكلا، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتني،

والسلام.[1]

وردًّا على ذلك، اتبع المهلب أسلوبًا مبدئيًا وردّ على الحجاج بن يوسف برسالتين. في الرسالة الأولى، طلب المهلب من الحجاج أن يشهد على إخلاصه ووفائه.

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ج 2، ص 150

وكتب المهلب إلى الحجاج:

أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم، على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا، وقد عاتبتني معاتبة الجبان، وأوعدتني وعيد العاصي، فسل الجراح.

والسلام.[1]

وفي الرسالة الثانية، لم يكتفِ المهلب بإعادة التأكيد على استراتيجيته في توليد الانقسام بين صفوف الخوارج، بل تحدّث أيضًا عن نتائجها وآثارها الإيجابية.

كتاب المهلب إلى الحجاج:

أما بعد،

فان الله قد القى باس الخوارج بينهم، فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب، و بقيت عصابه منهم مع قطري، فهم يقاتل بعضهم بعضا غدو و عشيا، و قد رجوت ان يكون ذلك من امرهم سبب هلاكهم ان شاء الله،

و السلام.[2]

وبسبب هذين الرسالتين، غيّر الحجاج بن يوسف رأيه، رغم شدّته وعناده

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ج 2، ص150
2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ج 2، ص160

وتصلّبه، واقتنع بأساليب المهلب في الحرب النفسية **(Psychological Warfare).**وقد اعترف بذلك في إحدى رسائله قائلًا:

فكتب اليه الحجاج:

اما بعد،

فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل ان يجتمعوا، فتكون مئونتهم عليك أشد، و السلام.[1]

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ج **2**، ص**160**، قد ذكرنا كيفية وقوع الخلاف بين قطري بن الفجاءة وعبدالرب بالتفصيل -

الفصل الخامس

المهلب والعهد الأموي

الفصل الخامس:
المهلب وعهد بني أمية

(من 692م إلى 702م)

نظام الحكم في الدولة الأموية

إذا قمنا بمقارنة نظام الحكم في الدولة الأموية مع الأنظمة الحديثة اليومية، سنلاحظ أنه كان نظامًا ملوكيًا في ظاهره، لكن في باطنه كان يتسم ببعض خصائص النظام الفيدرالي.

فقد كان رئيس الدولة يُعين بطريقة وراثية وجبرية، ولكن على المستوى الإداري، كانت الأقاليم أو الولايات تتمتع بقدر كبير من الاستقلال والحرية في إدارة شؤونها الخاصة. ومع ذلك، كانت الطريقة التي تُدار بها الدولة وتقسيم القطاعات الحكومية موحدة إلى حد كبير في جميع أنحاء الدولة.

كانت الدولة الأموية بشكل عام، تُدار من خلال قطاعات إدارية ناجحة ومنظمة نسبيًا. ومن خلال هذه الطريقة، كانت تحقق مستوى من الاستقرار والتنسيق على مستوى الدولة.

وفيما يلي عرض عام ومختصر لنظام الحكم في العصر الأموي:

1. ديوان الجند ينظم أمر الجيوش
2. ديوان الخراج وكان تحته نظام بيت المال وتدقيق الحسابات
3. ديوان الرسائل ك الأمانة العامة المركزية في عصرنا
4. ديوان البريد أي الإدارة المركزية للمراسلات والنقل السريع

والمواصلات

5 ديوان الخاتم، كان هذا الديوان يحتفظ الأوامر ويسجلها التي صدرت من جانب الخليفة، ويصدر التوجيهات للولاة الإقليميين وفقًا لها. أي أنه كان يؤدي وظائف مشابهة لوظائف "قسم مجلس الوزراء" و"قسم التعيينات" في الأنظمة الحكومية الحديثة.

6 ديوان الاحداث، أي إدارة حول الشرطة ودفاع المدن الداخلي

7 وكان 'ديوان مشغلات' الذي ينظم الأمور المتفرقة الذي لم تأت تحت أي ديوان مذكور أعلاه.

الأقاليم في الخلافة الأموية

كانت الدولة الأموية مقسمة إلى ست مناطق رئيسية أو الأقاليم. كل واحد منها كانت تتكون من عدة أقاليم، وكان تعيين هذه الأقاليم من أمر الخليفة الذي كان يحدده حسب ما يراه مناسبا. كما كان الخليفة يعين ولاة على هذه الأقاليم، وكان كل حاكم بدوره يعين نوابه وموظفيه في كل إقليم حسب ضروراته الخاصة. وكانت الأقاليم في الدولة الأموية كما يلي:

1 **إقليم الحجاز**: كان يشمل مكة، المدينة، مناطق الحجاز، واليمن.

2 **إقليم العراق**: كان هذا الإقليم الأكبر والأهم الأقاليم في الدولة الأموية. كان يشمل العراق الحالي، وعمان، والبحرين، ومنطقة كرمان، وسيستان، وكابول، وخراسان، وسند. وكان حاكم هذا الإقليم يتمتع بتفوق سياسي على باقي الحكام.

3 **إقليم أرمينيا وأذربيجان**: كان يشمل المناطق الحالية في أذربيجان وأرمينيا.

4 **إقليم الشام**: كان له أهمية خاصة لأنه كانت بها العاصمة الأموية بمدينة دمشق. لهذا السبب، لم يكن له حاكم معين، بل كان الخليفة هو الذي يدير هذا الإقليم مباشرة.

5 **إقليم مصر**: كان يشمل مصر الحالية بالإضافة إلى منطقة السودان.

6 **إقليم شمال أفريقيا**: كان هذا الإقليم ذا أهمية خاصة من الناحية الجغرافية بالنسبة للدولة الأموية. وكان عاصمته مدينة القيروان. كان يشمل الدول الحالية مثل ليبيا، والجزائر، والمغرب، وتونس، وكذلك جزر البحر الأبيض المتوسط مثل: صقلية وسردينيا.

وبمرور الزمان، أصبح **الأندلس** إقليمًا مستقلًا. وكان الخليفة يدير الشؤون الخارجية مباشرة، بينما كان الحكام المحليون يديرون الشؤون الداخلية.[1]

كما مربنا في الباب السابق بأن بعد استشهاد عبد الله بن الزبير، وافق المهلّب على مساعدة عبد الملك بن مروان ضد الخوارج. وكان عبد الملك بن مروان حاكمًا قويًا وقاسيًا، لكنه كان يملك بصيرة سياسية وعسكرية. أكبر تهديد واجهه في عصره هو كان بشكل الخوارج بعد استشهاد عبد الله بن الزبير. واعتقد عبد الملك بن مروان أنه لا يمكنه لأحد تعقيبه سوى القائد العسكري المهلّب. لذلك، قام بإقناع الحجاج بن يوسف - الذي كان صهر المهلّب - ليحثّه

---

1 مولانا اكبر شاه خان نجيب آبادى، تاريخ اسلام،، ج **1**، ص**360-643**

على تأييد عبد الملك ضد محاربة الخوارج. وافق المهلّب على ذلك، وظلَّ طوال حياته معاوناً ومساعدا لعبد الملك بن مروان في هذا الصدد. واستمر المهلّب في محاربة الخوارج حتى قضى على فتنتهم العنيفة بالكلية. بدأ المهلّب من الكوفة وواصل في تعاقبهم في الأهواز وفارس والمناطق الشمالية الشرقية حتى دفنت الفتنة ولم يبق لها أثر يرى بعدئذ.

في عهد عبد الملك بن مروان، وصل المهلّب إلى قمة في جوانب حياته السياسية والعسكرية. كان في نظام الحكومة الأموية للوالي اختيارات عديدة وفي بعض الأحكان كان للوالي حرية تامة في أمور الإقليم. ومن أهمها: كان الوالي- إن شاء- يسك عُملاته الخاصة التي كانت تستخدم في إقليم حكمه كعملة عادية يستعملها الناس في تجارتهم ومعاملاتهم الحياتية. بعد أن طرد المهلّب الخوارج من إقليم فارس والمناطق المجاورة، قام بسك عُملات بإسمه التي تم تداولها في تلك المناطق. وهذا لا يدل إلا على حكمته العسكرية وقوته السياسية ومكانته عند الخليفة وقتئذ.

الدراهم المهلب بن أبي صفرة

في العصر الأموي، استمرت الدولة الإسلامية في استخدام نفس الدراهم التي كانت متداولة في العصر الساساني (الكسروي) قبل الإسلام. ولكن أُضيف إليها اسم الخليفة الأموي أو اسم أحد ولاته الأقوياء، كعلامة على السلطة والسيطرة (وكان يسك الإسم في جانب واحد من العملة).

واجراء العملات باسم الوالي كانت تعد تكريمًا وبيانًا واضحًا للسلطة

والهيبة، حيث يدلُّ وجود اسم أحد الأشخاص على الدراهم أن الحكم في ذلك الإقليم كان خاص له، وأن العملة المتداولة هناك كانت تابعة لسلطته.

وطرف الظاني من العملات، كان يُنقش اسم الله تعالى أو بعض العبارات الإسلامية مثل "بسم الله "أو "لا إله إلا الله"، تعبيرًا عن علاقة الدولة بالإسلام.

ومن الحقائق التاريخية الجديرة بالذكر أن اسم المهلب بن أبي صفرة نُقش على أحد الدراهم في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهو ما يُعدّ دليلًا واضحًا على المكانة السياسية والعسكرية العظيمة التي كان يتمتع بها المهلب في ذلك الوقت.

من أبرز الشهادات التاريخية الثابتة على بلوغ المهلب بن أبي صفرة قمة نفوذه السياسي، هو ما حدث في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي تولى الخلافة من سنة **65**هـإلى **85**هـ(أي من **685**م إلى **705**م)، مدة عشرين سنة.

ففي بعض مناطق بلاد فارس (إيران)، تم سك دراهم (عملات فضية) باسم المهلب، وكان اسمه مكتوبًا على هذه الدراهم باللغة الفهلوية (البهلوية) على الشكل التالي: "المهلب". كما كُتب عليها أيضًا بالفهلوية عبارة تعني: **"**ليزد ملكه"، أي: "ليزد الله في ملكه (سلطانه)**."** أما في الحافة الخارجية للدائرة المسكوكة على السكة، فقد كُتبت عبارة "بسم الله" باللغة العربية، ما يجمع بين الهوية الإسلامية واللغة المحلية للمنطقة. وقد تم سكّ هذه الدراهم في عدة مدن

فارسية قديمة، مما يدل على مدى سيطرة المهلب الإدارية والعسكرية في تلك الأقاليم.

واجهة الدرهم، توجد فيها صورة لرأس إنسان على طراز كسرى الثاني (خسرو الثاني)، يتجه وجهه نحو اليمين، ويلبس على رأسه تاجًا يشبه العمامة، وهو رمز يُعبّر عن الشجاعة والبسالة في ذلك العصر. ونُقشت عليها عبارة في عند قفا الرأس أي خلفه، عبارة باللغة البهلوية (الفهلوية) معناها: **"**ليزد الله في مُلكه" أو "ليزد سلطانه.**"** وكذلك أمام هذا الرأس نقشت عبارة أخرى باللغة الفهلوية، وهي: **"**المهلب بن أبي صفرة"، مما يدلّ على أن هذا الدرهم صكّ في عهده وباسمه. ودائرة تُحيط هما كما تحيط الصورة، وخارج هذه الدائرة كُتبت عبارة "بسم الله"



(واجهة العملة التي أجراها المهلب)



باللغة العربية، مما يُظهر بين الثقافة الفارسية والعربية.

وعلى الجانب الخلفي لهذا الدرهم، تظهر صورة نارٍ موقدة، يقف على جانبيها خادمان. في الأعلى من الجهة اليمنى كُتبت سنة سكّ العملة، وهي سنة **75** هـ، وفي الجهة اليسرى اسم دار السكّ، مكتوبًا باللغة البهلوية: 'بِشابور'.

يُعدّ إجراء الدراهم مثلها من أصدق الشواهد التاريخية على مكانة المهلب بن أبي صفرة، ويدلّ بوضوح على مدى ما كان يتمتع به من نفوذ سياسي وعسكري في تلك المنطقة وقتئذ.

تفاصيل العملة	
العصر	العهد الإسلامية — الدولة الأموية
الشخصية	المهلب بن أبي صفرة — والي
الخليفة الحاكم	عبد الملك بن مروان
دار السك (علامة السك)	ب ي ش (بِشابور) — سك إسلامي
المعدن	فضة
نوع العملة	درهم
طريقة التصنيع	ضُربت باستخدام المطرقة
التاريخ	سنة **75** هـ، الموافق **694–695** م
الوزن	**4.066** غرام
القطر	**31.8** ملم وفقًا لغرفة النقود في جامعة أكسفورد **Heberden Coin Room —**
المرجع في فهارس النقود الإسلامية	**HCR10182 – Heberden Coin Room**

تُعرف هذا القسم من العملات باسم "العملات العربية الساسانية"، وذلك لأن تصميمها الأساسي مأخوذ من النماذج التي تعود إلى العصر الساساني وزادت فيها عبارات، ككتابة اسم الخليفة الحاكم واسم والي الإقليم باللغة البهلوية، ليكونا علامة واضحة للرعية على هوية الحاكم. كما كانت تُكتب عبارات دينية باللغة العربية، مثل "بسم الله" أو "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وكان قصدها إعلان هوية الدولة الدينية والترويج لها.

وتوجد اليوم العديد من النماذج المختلفة لهذه العملات، خاصة من العصر الأموي، وهي محفوظة في كبرى المتاحف العالمية وكذلك لدى هواة جمع العملات في مجموعات خاصة.

كان اسم المهلّب بن أبي صفرة كأمير، أي والٍ، يُنقش على العملات عديدة، صادرة من عدة الضُرُب ومدن، ومن أهم هذه الأماكن ما يلي:



أولاً: كان اسم بشاپور منقشا على معظم العملات التي تم سكها في الفترة من عام **694**م إلى عام **698**م. بشاپور هو مدينة هامة في منطقة فارس، تقع في جنوب غرب إيران.

ثانيًا :أردشير خاورّ أي مثل أرد شير، وهو أحد أسماء المناطق

القديمة في فارس، كانت تقع أيضًا في جنوب غرب إيران. استمرت سك العملات باسم المهلب بن أبي صفرة من هذه المنطقة بين عامي **695**م و**698**م.

ثالثًا :داربكرد، وهي مدينة كانت تعرف حاليًا باسم دارب، كانت من مناطق إيران القديمة. تم سك عملات المهلب بن أبي صفرة هنا أيضًا بين عامي **695**م و**698**م. وفقًا للشاهنامه، يُعتقد أن هذا المدينة تم بناؤها على يد الملك دارا الأول. وهي مدينة تزيد تاريخها من **2500** عام.

رابعًا: تم أيضًا سك العملات باسم المهلب بن أبي صفرة في إصطخر، وهي مدينة قديمة تقع في جنوب إيران. تُكتب اليوم وتُلفظ باسم "استحر". أهلها قاموا بمقاومة شديدة عندما وصل المسلمين من العرب إلى إيران بعد دخول الإسلام. كما كانت مركزًا هامًا للديانة الزرادشتية، حيث استمر الزرادشتيون في الإقامة فيها لفترة طويلة حتى بعد الفتح الإسلامي العربي.



إن إصدار العملات من قبل المهلب بن أبي صفرة في جميع هذه الأماكن يدل على أن العملة التي ضربها المهلب كانت سائدة في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية من إيران في نهاية القرن السابع الميلادي، والتي كانت تعرف بفارس أو پارس. وهذا يدل على أن هذه الشخصية البطولية كانت تتمتع بمكانة سياسية وعسكرية راسخة في العالم الإسلامي .



(الخريطة تحدد الأماكن التي ضربت فيها دراهم التي تحمل اسم المهلب بن أبي صفره)

كان المهلب بن أبي صفرة من الإمارات العربية، من عمان وأصيل من قبيلة أزد، وقد قاد المهمات بجيشه في سيستان ومكران، ثم امتد من قندهار شمالاً إلى كابول، وعبر ممر خيبر ليصل إلى مدينة ملتان في مناطق باكستان، ومن ثم إلى قندبيل وقِيقان، حيث رفع رايات الإسلام وقام بتبسيط سلطته. لقد قام بإجراء عملته وسلطانه في تلك المناطق.

لذلك، يمكننا في السياق المعاصر أن نعتبر المهلب بن أبي صفرة بطلًا

حقيقيًا ورجلا تاريخيًا كجسر الموصلة، دينيًا واجتماعيًا، بين العرب والعجم، وباكستان وأفغانستان وإيران، ودول الخليج العربي، والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان. إن علاقة المناطق والشعوب المقيمة في هذه البلدان بشخصية المهلب تمثل وأصولا وأساسا ورابطا فخريًا بين قبائلها وأممها، مما يجعلها فخرًا لهذه الشعوب جميعا.

أعمدتان في العصر الأموي

في العصر الأموي، برز كلٌّ من الحجاج بن يوسف الثقفي وأبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي كركنين قويين يتمتعان بأثر سياسي وعسكري داخل أمور الخلافة. فقد منحت لهما من قِبل الخليفة الأموية سلطات واختيارات واسعة لا تكاد تُحد، فكانا يتوليان قمع الفتن والثورات لحصول الأمن والسلامة مع تأييد النظام، وجباية الضرائب، فضلاً عن إنشاء المرافق العامة والمؤسسات الخدمية.

القرابة بين المهلب والحجاج بن يوسف

كان الحجاج بن يوسف الثقفي (661م – 714م) صهر المهلب بن أبي صفرة (632م – 702م)، إذ كانت "هند" ابنة المهلب زوجةً للحجاج. وقد مثّل كلٌّ من الحجاج والمهلب شخصيتين رئيسيتين في الحكم الأموي، وكان بينهما رابط وثيق من الثقة والقرابة، تعزّز بمصاهرة جمعت بين البيتين.

تولى الحجاج ولاية العراق، واشتهر بشدّته البالغة، بل وبتطرّفه في القسوة، حتى أصبح جانبه الطبيعي ضرب المثل في المجتمعات الإسلامية. ومع ذلك، فقد

كان يُقرُّ قيادة المهلب، وصلاحياته ومهاراته وحِكمته العسكرية الاستراتيجية، وشجاعته في الميادين. وإذا قمنا بتقابل بين هاتين الشخصيتين، نجد أن المهلب امتاز على الحجاج بسمو القدرات الفردية، إذ لم يكن نجاحه مبنيا على السيف وحده، بل لم يُفارقه تدبر الأمور ورُشد الحكمة، وبُعد النظر، في جميع مهماته. وزيادة على ذلك، فإن النشاط العسكري للحجاج كان محصوراً على مناطق العراق، بينما امتدت حملات المهلب إلى مناطق وسيعة، شملت شمال العراق وجنوبه، وفارس، وأذربيجان، وسجستان، ومكران، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، لا سيما سمرقند، وكابل، وبلخ، ووصلت فتوحاته إلى مناطق باكستان المعاصرة، مثل بنّو، وملتان، وقندابيل، وقيقان. ولم يُعهد في ذلك الزمان قائد عسكري بلغت فتوحاته إلى هذا الحد من الوسعة الجغرافية وحقق فيها ما حققه المهلب من نصر وتوفيق.

وفوق كل ذلك، فإن المهلب هو الذي تصدّى لأخطر الفِرَق المتطرفة والمثيرة للفتن في التاريخ الإسلامي، وهم الخوارج، حيث لم يُكتب القضاء عليهم إلا بعد قرابة عقدين من الحروب المتواصلة، وكان ذلك على يد المهلب. كما أن نشر الإسلام في معظم مناطق باكستان الحالية يُعدّ من الإنجازات الكبرى لهذا القائد الإسلامي العظيم، بفضل الله تعالى، وهو أمر يشكل حقيقة تاريخية مشرفة، يحق للأمة أن تفخر بها.

الفصل السادس
وصايا المهلب

□

الفصل السادس:
وصايا المهلب وأقواله الحكيمة

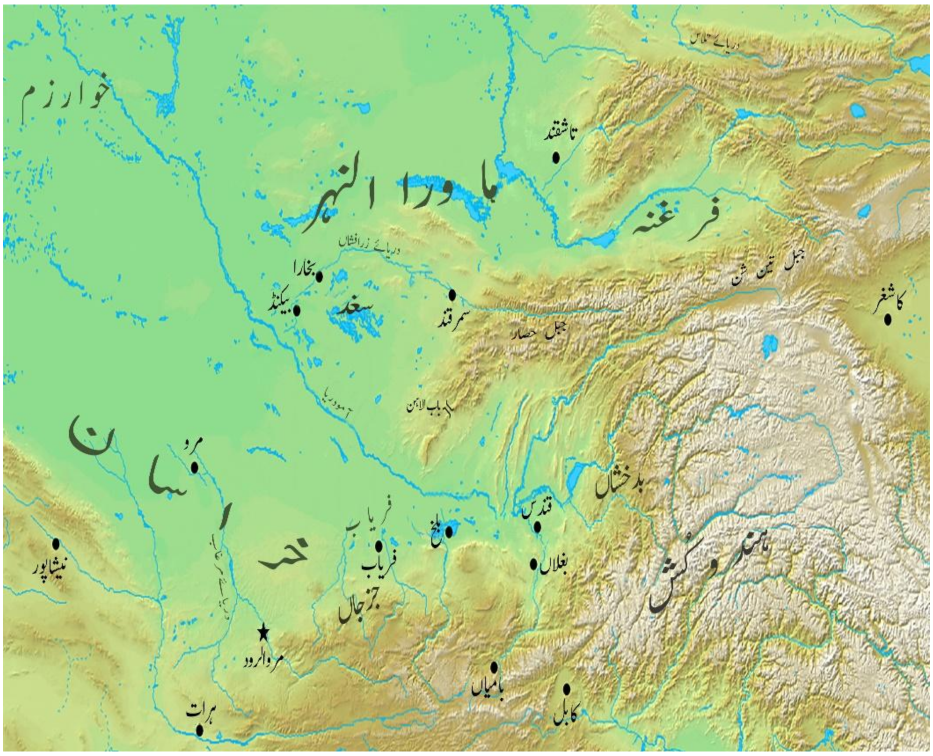
الوصية للأولاد تحمل دائمًا أهمية بالغة مهما كان الرجل ومكانته، وتكون كلماتها بمثابة توجيه قيم ونصائح للمستقبل. لم تكن لوصية المهلب استثناءً من هذا السياق. نرى أن وصيته كانت نموذجًا راقيًا للأدب التربوي المأخوذ من ديننا الحنيف. بالإضافة إلى ذلك، كانت وصيته تمثل هدية مشتملة على الإرشادات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية والإدارية تنطوي على جوانب متعددة من الحياة. وقد ذكر ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" تفاصيل وصال المهلب ووصيته بشكل تام، مما يظهر أهمية هذه الكلمات في تنظيم شؤون الحياة من خلال نظرة إدارية دقيقة. وكلمات المهلب في لحظة وداعه تشتمل وتمثل درسًا في الحكمة والتخطيط للعديد من جوانب الحياة، سواء على الجانب الاجتماعي أو السياسي أو الإداري.

> "لَمَّا صَالَحَ الْمُهَلَّبُ أَهْلَ كِشَّ رَجَعَ يُرِيدُ مَرْوَ، فَلَمَّا كَانَ بِمَرْوِ الرُّوذِ أَخَذَتْهُ الشَّوْصَةُ، وَقِيلَ الشَّوْكَةُ، فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَوْصَى إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ:قَدِ اسْتُخْلِفَ عَلَيْكُمْ يَزِيدُ فَلَا تُخَالِفُوهُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الْمُفَضَّلُ: لَوْ لَمْ تُقَدِّمْهُ لَقَدَّمْنَاهُ.

وَأَحْضَرَ وَلَدَهُ فَوَصَّاهُمْ، وَأَحْضَرَ سِهَامًا فَحُزِّمَتْ، فَقَالَ: أَتَكْسِرُونَهَا مُجْتَمِعَةً؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفَتَكْسِرُونَهَا مُتَفَرِّقَةً؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَهَكَذَا الْجَمَاعَةُ.

ثُمَّ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ ; فَإِنَّهَا تُنْسِئُ فِي الْأَجَلِ، وَتُثْرِي الْمَالَ، وَتُكْثِرُ الْعَدَدَ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْقَطِيعَةِ ; فَإِنَّهَا تُعْقِبُ النَّارَ وَالْقِلَّةَ وَالذِّلَّةَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلْيَكُنْ فِعَالُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ مَقَالِكُمْ، وَاتَّقُوا الْجَوَابَ وَزِلَّةَ اللِّسَانِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزِلُّ قَدَمُهُ فَيَنْتَعِشُ مِنْهَا، وَيَزِلُّ لِسَانُهُ فَيَهْلِكُ، اعْرَفُوا لِمَنْ يَغْشَاكُمْ حَقَّهُ، فَكَفَى بِغُدُوِّ الرَّجُلِ وَرَوَاحِهِ إِلَيْكُمْ تَذْكِرَةً لَهُ، وَآثِرُوا الْجُودَ عَلَى الْبُخْلِ، وَأَحْيُوا الْعُرْفَ، وَاصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْعَرَبِ تَعِدُهُ الْعِدَةَ، فَيَمُوتُ دُونَكَ، فَكَيْفَ بِالصَّنِيعَةِ عِنْدَهُ! عَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالتُّؤَدَةِ وَالْمَكِيدَةِ، فَإِنَّهَا أَنْفَعُ مِنَ الشَّجَاعَةِ، وَإِذَا كَانَ اللِّقَاءُ نَزَلَ الْقَضَاءُ، فَإِنْ أَخَذَ الرَّجُلُ بِالْحَزْمِ فَظَفِرَ قِيلَ: أَتَى الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ فَظَفِرَ، فَحُمِدَ، وَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ قِيلَ: مَا فَرَّطَ وَلَا ضَيَّعَ وَلَكِنَّ الْقَضَاءَ غَالِبٌ، وَعَلَيْكُمْ

بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ وَأَدَبِ الصَّالِحِينَ، وَإِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ فِي مَجَالِسِكُمْ. ثُمَّ مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -[1]



(مروالرود: توفي بها المهلب)

في مرثيةٍ للشاعر الشهير في ذلك العصر نَهَار بن تَوسِعَة التميمي على وفاة المهلب، قال بعض الأبيات التي نقلها ابن الأثير في كتابه، وهي كما يلي:

الا ذهب المعروف والعز الغنیٰ
ومات الندى والوجود بعد المهلب

أقام بمرو الروذ رهن ضريحة
وقد غاب عنه كل مشرق ومغرب

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص499

اذا قيل اى الناس اولى بنعمة
على الناس قلنا هو ولم نتهيّب

فَلَمَّا تُوُفِّيَ كَتَبَ ابْنُهُ يَزِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعْلِمُهُ بِوَفَاتِهِ، فَأَقَرَّ يَزِيدَ عَلَى خُرَاسَانَ.[1]

ذكر ابن خلكان وفاة المهلب ووصيته لأولاده بالألفاظ التالية:

ولم يزل المهلب والياً بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك، ولما حضره أجله عهد إلى ولده يزيد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وأوصاه بقضايا وأسباب، ومن جملة ما قال له: يا بني، استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه؛ ثم توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بقرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان، رحمه الله تعالى[2].

نقل ابن خلكان كلاما رائعا للمهلب عند وفاته ومهد له تمهيد يظهر مكانة المهلب عنده، واهتمام شخصيته كما يلي:

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ (3/ 499)
2 وفيات الأعيان،ابن خلكان(353 /5)

> وله كلمات لطيفة وإشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل، فمن ذلك قوله: الحياة خير من الموت، والثناء الحسن خير من الحياة، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غداً إذا مت.[1]

قدّم المهلب لأبنائه مثالًا عمليًا عن أهمية الوحدة، وأصبحت هذه الحكاية مشهورة، حيث نقلها ابن خلكان في تاريخه على النحو التالي:

قدم المهلب بن أبي صفرة مثالًا عمليًّا بليغًا لأبنائه ليغرس في نفوسهم أهمية الاتحاد وقوة الجماعة، وهي القصة التي أصبحت فيما بعد من أشهر الحكايات، وقد أوردها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان بهذا اللفظ:

> "ولما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت، ثم قال: أترونكم كاسريها مجمعة قالوا لا، قال: أفترونكم كاسريها مفرقة قالوا: نعم، قال: هكذا الجماعة، ثم مات." [2]

أصبحت كلمات وصايا المهلب جزءًا من الأدب العربي مع فصاحتها وبلاغتها وحكمتها وذكائها، وتم إدراجها رسميًا تحت عنوان "وصية المهلب" في المناهج الأدبية للغة العربية. النص المدرج في المنهج هو كما يلي:

---

1 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ ص 353

2ابن خلكان، وفيات الأعيان (5/ 354)

وصية المهلب بن ابى صفرة

فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فان صله الرحم تنسئ في الأجل، وتثرى المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات! وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف، فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع، ولكن القضاء غالب وعليكم

بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم، وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد.[1]

مبادئ المهلب الإدارية والتنظيمية

وصية المهلب لا تزال تستحق أن تُكتب بكلمات ذهبية اليوم، ولا نشك فيها. فقد قدّم المهلب لِأبنائه المبادئ الأساسية للحكم والسياسة التي يمكننا أن نتعلم منها اليوم الكثير. وفي رأينا، ينبغي تدريس بعض جمل وصية المهلب في مناهج التعليم والتدريب للمؤسسات التي تختص بتعليم ضباطنا، مثل أكاديمية الـ **CSS** وغيرها.

نرى أن العديد من مبادئ حُكم البريطانيين من خلال البيروقراطية تتناقض تمامًا مع مبادئ المهلب. كانت مبادئ المهلب في الحكم قريبة من مطالب خدمة الجمهور والمبادئ التي نحتاج إليها اليوم. كما وضع المهلب معايير ومبادئ خاصة له في منصب الخدمة العامة أو أي منصب مدني، وهي المبادئ التي التزم بها طوال حياته، وحتى في لحظات وفاته، ترك وصية لأبنائه ليظلوا ملتزمين بتلك المبادئ.

---

1 المبرد، التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا]، ص 153

عندما توفي المهلب بن أبي صفره، أصبح ابنه يزيد بن المهلب من القادة العسكريين البارزين في فترة حكم الأمويين.

فمن ذلك قوله: الحياة خير من الموت، والثناء الحسن خير من الحياة، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غداً إذا مت.[1]

أي أن سمعة الإنسان هي كل شيء. فالرئيس الحكومي أو الوزير أو الموظف، مهما كان، إذا كان يهتم بسمعته**(Reputation)** ، فإن الأمور ستسير بشكل صحيح، وإلا فلن يكون هناك شيء يمكن أن يمنع النظام من الانهيار والزوال. إذا كان شخص ما لا يهتم بسمعته**(Reputation)** ، فلن يمنعه أي قانون من ارتكاب الأعمال السيئة لفترة طويلة. وإذا لم يسلك هذا الشخص طريق الخيانة والفساد بنفسه، فإنه سرعان ما سيسلك على طريق الخيانة أو الفساد أو الأعمال السيئة عندما يجد الفرصة، لأنه يفتقر إلى مكانة نفسية عالية والكرامة التي تحثه على حفاظ سمعته.**(Reputation)**

في رأينا، هذه هي الجمل الذهبية من وصية المهلّب التي يجب أن تكون موجودة ليس فقط في منهج أكاديمية**CSS** ، بل يجب تدريسها أيضًا في كل دورة تدريبية متعلقة بالتدريب الإداري.

---

1 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج**3**/ ص **353**

مكاتيب المهلب ورائله

مكاتيب المهلب محفوظة في كتب التاريخ الإسلامي. تساعد هذه الرسائل كثيرًا في فهم السياسة في ذلك العصر، وخاصة الأمور الإدارية في العصر الأموي. وأهم من ذلك كله، أنها تمنحنا فرصة للتعرف على القدرات العسكرية والإدارية العامة للمهلب. هذه الرسائل أيضًا تشير إلى أهمية التواصل في شؤون الحكومة، الذي كان دائمًا أمرًا بالغ الأهمية، وكان في ذلك الوقت صعبًا ومعقدًا. ومع ذلك، حافظ حكام تلك الحقبة، وقادة الحملات العسكرية، والقادة المركزية على هذا التواصل قدر المستطاع، مما يجعلنا ندرك اليوم، في عصر التواصل المتطور، مدى أهمية هذا التواصل. في الأمور العسكرية والإدارية، تعتبر سرعة الاتصال واستمرار التواصل ضمانًا للحفاظ على القواة العسكرية.

أما بالنسبة لمسلمي شبه القارة الهندية، فإن فهم أهمية هذا التواصل يصبح أكثر وضوحًا، لأن البريطانيين في عام **1857** تمكنوا من النجاح الجزئي بسبب التواصل بين معسكراتهم بشبكة الاتصالات باستخدام التلغراف. ونتيجة لذلك، تمكنوا من التصدي في وقت واحد للهملات التي كان يقوم بها السكان المحليون ضدهم. وقد وصف بعض متحالفي الإنجليز هذه الجهود الدفاعية للشعب المحلي بـ "التمرد". من ناحية أخرى، أطلق عليه المؤرخون المسلمون الوطنيون "حرب الاستقلال"، بينما وصفه المسلمون الإسلاميون بـ"الغدر". كان البريطانيون يشكلون أقل من واحد في المئة من السكان المحليين من حيث العدد حينئذ، ولكن الأهم من التفوق في الانضباط العسكري والمعدات هو أن

التكنولوجيا المتاحة لهم سمحت لهم بالحفاظ على اتصال منظم ومستمر ما بين معسكرهأ وجيوشها عبر البلاد، وهو ما كان مفقودًا في صفوف السكان المحليين وقادتهم. لم تكن هذه التكنولوجيا متوفرة لدينا. وكانت تكنولوجيا التي زادت مهارة الاتصال سببا في نجاح البريطانيين. هذا الفارق التكنولوجي لا يزال موجودًا إلى اليوم بل قد زاد أهميته بمرور الزمان. وكان هذه نقطة تاريخية هامة، وذكرناها هنا كتعليق لأننا يجب أن نتعلم على الدوام دروسًا من تاريخنا.

تعتبر رسائل المهلب أيضًا دليلاً على بلاغة اللغة العربية وأدبها، حيث كان يصف الأحداث الواقعية بطريقة تجعل إرشاداتها ضمن قطعات الحكماء الرائعة التي لها مكانة عالية في الأدب العربي. على سبيل المثال: عندما فرّ جماعة الأزرقية من الخوارج من مدينة الكوفة واتجهوا إلى مدينة الأهواز في فارس، استجابة على طلب أهل الكوفة، قام المهلب بملاحقتهم حتى الأهواز ونجح في تفرقة قوتهم. وفي مواجهة هذا الجماعة المتطرفة، أرسل المهلب خبر انتصاره إلى الحارث بن عبد الله من خلال رسالتين تشهدان على أسلوبه أدبي الرائع وبلاغته الذي استخدمه في وصف الأحداث.

كتاب إلى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة أمير البصرة كتابا يقول فيه

1-: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنا منذ خرجنا نؤمّ هذا العدو، في نعم من الله متصلة علينا، ونعمة من الله متتابعة عليهم، نقدم ويحجمون، ونحلّ ويرتحلون،

إلى أن حللنا سوق الأهواز، والحمد لله رب العالمين،
الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم.» [1]

عند تقدم المهلب ضد الأزرقية من الأهواز، أرسل لهم خبرًا بهذا التقدم من خلال رسالة، وكانت محتوياتها كما يلي:

وكتب المهلّب بن أبي صفرة إلى الحارث بن عبد الله بعد الوقعة

2- «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإنا لقينا الأزارقة المارقة بحدّ وجدّ، فكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الحفاظ والصّبر بنيّات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنّعمة مقدار الأمل، فصاروا دريئة رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأوّلها، والسلام». [2]

التواصل بين المهلب والحجاج

تُظهر المراسلات والمكاتيب بين المهلب وحجاج بن يوسف أحد الجوانب الهامة في عصر الأمويين، حيث تقدم لنا شهادة توثيقية لهذا العصر. أولاً، تشير هذه الرسائل إلى أن القادة العسكريين والإداريين في فترة الفتوحات الإسلامية الذهبية كانت على دراية كاملة بأهمية إنشاء روابط تواصلية بين المركز وحدود

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص98
2أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 99

الدولة، لمواكبة التغيرات السريعة في المعسكر والميادين والمدن. بفضل هذا النظام، كان المركز دائمًا على دراية تامة بالأحوال التفصيلية في حدودها، وكان القادة العسكريون في الأطراف البعيدة على علم كامل بتوجيهات القيادة المركزية وأوامرها ورغباتها.

النقطة الثانية التي تُظهرها مراسلات ومكاتيب وروابط بين حجاج بن يوسف والمهلب هي أنه وقع فيما بينهم تبادلًا فكريا، خاصة فيما بين القيادة السياسية والعسكرية. القيادة العسكرية كانت أكثر دراية بالحقائق وأحوال الميادين والمعسكر، وكانت آراؤهم تُسمع وتؤخذ في الاعتبار في بعض الأمور. ويظهر هذا بوضوح من خلال الرسائل حجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان يُعتبر من أكثر الإداريين قسوة في العصر الأموي، وكان اسمه مرادفًا للظلم والقسوة، ورغم قسوتة كان في بعض الأحيان يعدل من آرائه ورغباته بعد الاستماع إلى حجج القادة العسكريين مثل المهلب.

كان حجاج بن يوسف، بسبب قسوته، يعتبر الحرب والقتال الحل الوحيد لكل مشكلة، بينما كان المهلب، الذي كان أحد أبرز القادة العسكريين في عصره، يعتبر أن السياسة والحكمة هما الطريقتان الأفضلان لتحقيق النجاح والفتوحات. على الرغم من أن المهلب كان قد حقق فتوحات عظيمة في معظم نواحي الدولة الإسلامية، ولم تكن الهزيمة جزءًا من تاريخه، إلا أنه كان يفضل استخدام الحكمة والتخطيط السياسي -إذا أمكنه- على الحرب بالسيف. إذا كانت الحكمة والسياسة تؤدي إلى النصر، كان المهلب يقبلها ويفضلها ويعتمد

عليها أموره. وهذه الصفة كانت تميز في شخصية المهلب وبها تفرد عن غيره من القادة العسكريين. ومن الملاحظ أن هذا النوع من التفكير يزداد تأثيره في القيادات العسكرية حول العالم في يومنا هذا، حيث يُعتبر الجمع بين الحكمة والسياسة والتخطيط الاستراتيجي هو الطريق الأفضل لتحقيق النجاح المستقل والمستدام.

مكاتيب المهلب ورسائله إلى حجاج بن يوسف كافية لالقاء الضوء على هذه الصفة الشخصية له.

كتب الملهب الى الحجاج بن يوسف

3- ليس قبلي إلا مطيع، وإن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا الذب، وإذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب، وإذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك، فهب لي هؤلاء الذي سميتهم عصاة، فإنما هم فريقان أبطال، أرجو أن يقتل الله بهم لعدو ونادم على ذنبه. [1]

هذه الرسالة، ركز المهلب على بيان التوازن بين الانضباط في الجيش ووفاء العسكر بالقيادة بطريق بليغ. كانت مكانة المهلب في عمق قلوب الجنود، ولذا كانت الجيوش تؤثر المهلب على أموالهم وأنفسهم، وهو الأمر الذي تم ذكره في العديد من الأشعار تلك الفترة قد ذكرناها في الصفحات السابقة.

ذات مرة، كتب حجاج بن يوسف لما كانت في قلبه من القسوة إلى المهلب

---

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،، ج **2**، ص **145**

رسالة مليئة بالطعون وأراد التحريض على القتال بالسرعة على العدو، بكلمات تالية:

كتاب الحجاج إلى المهلب

4- أما بعد، فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي، وعَبَّاد بن حصين الحَبِطي، واخْترتك وأنت من أهل عُمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا وإلا أَشْرَعْتُ إليك صدر الرمح والسلام. [1]

ردًا على رسالة حجاج المليئة بالذموم، أجاب المهلب بأسلوب مدلل وموقر. بمعنى أن المهلب لم يكن يظهر رد الفعل بسرعة على أي أمر، بل كان يجيب على كل شيء بعد تدبر وتفكرير من كل جوانبه. وهذه أيضًا من صفات القائد العسكري الحكيم، مما يدل على إعتماده في نفسه وصلاحياته على اتخاذ القرارات العبقرية في الظروف الصعبة.

فكتب إليه المهلب: ورد عليّ كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدوِّ، ومَن عجز عن جباية الخراج، فهو عن قتال العدوِّ أعجز، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن

1أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 146

حكيم، وعَبَّاد بن حصَين، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري إن شرًّا من الأزد لقبيلة تُنازعها ثلاثُ قبائل لم تستقر في واحدة منهن، وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرَعْتَ إليَّ صدر الرمح، فلو فعلت لقلبتُ إليكَ ظهر المِجنِّ والسلام. [1]

قسوة الحجاج

كتب الحجاج إلى المهلب

5- أما بعد، فإنك لو شئت فيما أرى اصطلمت هذه الخارجة المارقة، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك، وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة لينهضك إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين، ثم جاهدهم أشد الجهاد، وإياك والعلل والأباطيل والأمور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة، والسلام.[2]

الرد الصريح من المهلب على الحجاج

من خلال رسالة المهلب التي تشتمل على الرد الصريح على الحجاج، يتبين

---

1 جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج **2**، ص **146**

يتضح من ذلك مدى ضرورة أن تكون القيادة العسكرية ذات قلب بارد وعقل راجح.

2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج **2**، ص **149**

أن المهلب كان واضحا في أفكاره وفي تعبيرها بأسلوب حسن، حيث كانت نظرته تعتمد على الحقائق الميدانية للمعركة والحرب، لا على المصالح السياسية أو الغنائم. كما كان المهلب يعتقد بعدم التدخل في شؤون الآخرين، خاصة فيما يتعلق بالصلاحيات والمسائل العسكرية. وكان يعبر في رسائله وخطبه عن رغبة في عدم التدخل السياسي في الشؤون العسكرية، مع التأكيد على أن هذا لا يُبين ولا يدل بأي حال من الأحوال على أنه كان يرفض اتباع الأمير أو يعصيه. هذه الفكرة والموقف ربما لا تزال مطلوبة حتى يومنا هذا.

كتب المهلب إلى الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج: «أما بعد: فقد أتانى كتاب الأمير -أصلحه الله- واتّهامه إياى فى هذه الخارجة المارقة، وأمرنى الأمير بالنهوض إليهم، وإشهاد رسوله ذلك، وقد فعلت، فليسأله عما رأى، فأمّا أنا فو الله لو كنت أقدر على استئصالهم، أو إزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك، لقد غششت المسلمين، وما وفيت لأمير المؤمنين، ولا نصحت للأمير-أصلحه الله- فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيي، ولا مما أدين الله به، والسلام».[1]

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 149 وتاريخ الطبري، ج 7، ص269 (هذه المكتوبات والرسائل تساعد كثيرًا في معرفة الحقائق الميدانية العسكرية خلال فترة الحروب.)

كتاب الحجاج إلى المهلب

6-أما بعد: فإنك جبيت الخراج بالعلل، وتحصّنت بالخنادق، وطاولت القوم، وأنت أعزّ ناصرا، وأكثر عددا، وما أظنّ بك مع هذا معصية ولا جبنا ولكنك اتخذتهم أكلا، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فناجزهم وإلا أنكرتنى، والسلام.»[1]

كتب المهلب إلى الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج: «أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم، على أنك لا تظنّ بى معصية ولا جبنا، وقد عاتبتنى معاتبة الجبان، وأوعدتنى وعيد العاصى، فاسأل الجرّاح، والسلام»[2]

كتاب المهلب إلى الحجاج

7-أما بعد فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فخلع عظمهم قطريّا وبايعوا عبد ربه الكبير، وبقيت عصابة منهم مع قطرى، فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوّا وعشيّا،

1أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج **2**، ص **150**

2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج **2**، ص **150**

قد يكون العلاقة بين الطرفين قويّة جدًا، لكن في بعض الأحيان قد نحتاج إلى شهادة معتدلة التي لا تميل إلى الطرفين. إن القيام بذلك ليس أمرًا معيبًا، بل هو الأفضل.

وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم
إن شاء الله، والسلام».[1]

فكتب اليه الحجاج: «أما بعد، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها، فإذا أتاك كتابى هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا، فتكون مؤنتهم عليك أشدّ والسلام».[2]

كتب إليه المهلب

8 -أما بعد، فقد بلغنى كتاب الأمير، وكلّ ما فيه قد فهمت، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا وينقص بعضهم عدد بعض، فإن تمّوا على ذلك فهو الذى نريد، وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقّق بعضهم بعضا، فأناهضهم على تفئة ذلك، وهم أهون ما كانوا، وأضعفه شوكة إن شاء الله والسلام.[3]

1أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 160

2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 160

لقد تم بيان خلفية كتابة الرسالتين وسببهما سابقًا.

3 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج2، ص 161

المهلب كان يعتقد في ذلك الزمان على الحروب الهجينة **Hybrid Warfare** مثل الحروب الفكرية والنفسية والإعلامية وغيرها

كتب الحجاج إلى المهلب مع عبيد بن موَهَب

9-أما بعد، فإنك تتراخى عن الحرب، حتى يأتيك رسلى، فيرجعون بعذرك، وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح، وتنسى القتلى، ويجمّ الناس، ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح، ولو كنت تلقاهم بذلك الجدّ لكان الداء قد حسم، والقرن قد قصم، ولعمرى ما أنت والقوم سواء، لأن من ورائك رجالا، وأمامك أموالا، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يدرك الوجيف بالدّبيب، ولا الظّفر بالتّعذير.[1]

كتب المهلب إليه

وكما كتب المهلب إلى الحجاج مجيبا له عن ذلك:

«أما بعد، فإنى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين، ذكرت أنى أجمّ القوم، ولا بدّ من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتال فيها المغلوب، وذكرت أن فى ذلك الجمام ما ينسى القتلى وتبرأ منه الجراح، وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم، تأبى ذلك قتلى لم تجنّ، وقروح لم تتقرّف، ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات، إن طمعوا حاربوا،

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج2، ص163

وإن ملّوا وقفوا، وإن يئسوا انصرفوا، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا، ونتحرّز إذا وقفوا، ونطلب إذا هربوا، فإن تركتنى والرأى، كان القرن مقصوما، والداء بإذن الله محسوما، وإن أعجلتنى لم أطعك ولم أعص، وجعلت وجهى إلى بابك، وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس.»[1]

كتاب المهلب إلى الحجاج

10- بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده. أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكنا ونحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة، ونوم به الرضيع، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدنيت السواد من السواد، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله:

---

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج **2**، ص **164**

﴿قُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

كتاب المهلب إلى عبد الرحمن بن الأشعث

11- أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الغيّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرّقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسى، فالله أحقّ أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرّضها لله فى سفك دم، ولا استحلال محرّم، والسلام عليك.[2]

وكتب المهلّب إلى الحجاج

12- أما بعد: فإنّ أهل العراق قد أقبلوا إليك، وهم مثل السّيل المنحدر من عل، ليس شيء يردّه حتى ينتهى إلى قراره، وإن لأهل العراق شرّة في أوّل مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 164

2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص194

الطبري، تاريخ الطبري، ج 8، ص 10

إلى أهليهم، ويشمّوا أولادهم، ثم واقفهم عندها، فإن الله
ناصرك عليهم إن شاء الله».[1]

إذ إنّ كلّ رسالة من تلك الرسائل تعد أهم ذخيرة من التراث الإسلامي الذي يقدم لنا تاريخنا العسكرى. هذا التراث يبين على جانبٍ من الجوانب الاستراتيجية والفنية في فنون الحرب وقيادة الجيوش. ويوضح من خلالها تصورٌ متكامل حول طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين السيادة السياسية والقيادة العسكرية، وأهمية الأراء القائد العسكري بشكل صريح في ميدان المعركة، والحدود التي يجب أن تُحترم رأيه في هذا السياق. و كذلك نتعلم من خلالها مناهج التي نستطيع من خلالها إزالة الشبهات المتولدة بين القادة. كما أن المكاتيب تُبرز ضرورة النظر إلى الوقائع والحوادث بعين العقل والتحليل، لا بدافع العاطفة أو الانفعال. إن هذه الرسائل تتضمن دروسًا حول الأمور المذكور بأسلوب عملي وواقعي، كما تبرز الرسائل شخصية المهلب كقائد حكيم، واعٍ، يجمع بين الحزم والبصيرة، والخبرة والتدبير.

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، ج 2، ص 194

خطب المهلب

إلى جانب كونه قائدًا عسكريًا، كان يلقي خطبا بليغا لها تأثير في قلوب الجيوش وغيرها من الناس حوله. كان يلقي خطبًا تتناسب مع الحوادث والواقعات. ألقى معظم خطبه لتحريض الجيش ورفع معنوياتها وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء، كما نجد في خطبه أنه قام ببيان حمد الله وشكره على نصره في المعارك، أو عرض حقيقة الأمور العسكرية، كانت هذه الأمور كلها تظهر ببلاغة من خلال خطبه. وقد ذكرنا العديد من هذه الموضوعات في سياقات مختلفة. ومن أبرز جوانب خطب المهلب هو أن خطبه كانت تحتوي على تعاليم القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم. وفيما يلي النموذج هذه الخطب:

1-يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وانهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دماءكم. فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم. علي بن ابي طالب صلوات الله عليه. فلقد لقيهم قبلكم. الصابر المحتسب مسلم بن عبيس. والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله. والمعصي المخالف حارثة بن بدر فقتلوا جمعياً. وقتلوا فألقوهم بجد وحد. فإنما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص في أحسابكم

وأديانكم ان يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويوطئوا حريمكم.[1]

تميّز المهلب بتفرّده في القضاء على الفتن، وعلى رأسها فتنة الخوارج. لقد أسس المهلب فكرته ووضح خططه على أقوال سيدنا علي رضي الله عنه في مهماته ضد الخوارج وكان يحيل إليه وإلى أقواله في خطبه. والخطبة المذكورة مثال واضح عليه.

أما الخطبة التالية فقد بنى المهلب رأيها على الآية القرآنية التالية التي قال فيها الله تعالى:

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾[2]

لقد قدم المهلب هذه الفلسفة القرآنية في خطبته بطريقة رائعة.

حيث لم يُلقِ المهلب بالًا لكثرة العدد، وكانت الآية القرآنية دائمًا نصب عينيه:

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾[3]

في أحد المواقف، ذكر المهلب هذه الفلسفة القرآنية في خطبته، على النحو

1 ابن الأثير، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 227
2 القرآن الكريم، آل عمران، 3: 140
3 القرآن الكريم البقرة، 2: 249

التالي:

2ـفحمد اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإن الله ربما يكل الجمع الكثير إِلَى أنفسهم فيهزمون، وينزل النصر عَلَى الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري مَا بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أحب أن أحدا ممن انهزم معكم، فإنهم لو كانُوا فيكم مَا زادوكم إلا خبالا عزمت عَلَى كل امرئ مِنْكُمْ لما أخذ عشرة أحجار مَعَهُ، ثُمَّ امشوا بنا نحو عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وَقَدْ خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، فو الله انى لأرجو الا ترجع إِلَيْهِم خيلهم حَتَّى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم.[1]

وكذلك، في مواقع الفتح والنصر، مجد المهلب متابعا وموافقاً لتعاليم القرآن والفلسفته عندئذ، كما قال الله عز وجل في القرآن:

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾[2]

---

1 الطبري، تاريخ الطبري ج 5، ص 619

2 القرآن الكريم، الإسراء/ بني إسرائيل، 17: 81

وفي مقام آخر قال:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هوَ كُرْه لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهوْا شَيْـًٔا وَّ هوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَعَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْـًٔا وَّ هوَ شَرٌّ لَّكُمْ ؕ وَ اللّٰه يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿۲۱۶﴾[1]

بيّن المهلب أهمية الاتحاد والتقوى بعد الفتح في خطبته على النحو التالي:

3- إنا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد، ولكن دمغ الحق الباطل، وقهرت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى، وكان ما كرهناه من المطاولة خيراً مما أحببناه من العجلة.[2]

4-والله ما بكم من قلة. وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع. فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله. فسيروا الى عدوكم على بركة الله.[3]

---

1 القرآن الكريم، البقرة، **2**: **216**

2 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج**3**، ص**289**

3 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج **3**، ص **229**

5- إني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقّة ورحمة، وابن كبيركم طاعة وبرّا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة، فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم، فو الله ما أردت صوابا قط إلا سبقني إليه.[1]

6-إن الله تعالى قد أراحكم من أقران أربعة: قطريّ بن الفجاءة، و صالح بن مخراق، و عبيدة بن هلال، و سعد الطلائع؛ و إنما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان.[2]

أقوال المهلب الحكيمة الذهبية

1. من جملة ما أوصى به (المهلّب) بنيه: يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه.[3]
2. العيش كله في الجليس الممتع.[4]
3. الحياة خيرٌ من الموت، والثناءُ الحسنُ خيرٌ من الحياة، ولو أعطيت ما لم يعطه أحدٌ لأحببتُ أن تكون لي أذنٌ أسمع بها ما يقال في

---

1 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 239

2 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 280

3 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص 353

4 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 1، ص 190

غدٍّ إذا مِتُّ.[1]

4. عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه.[2]

5. خير المجالس ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس.[3]

6. قال المهلب لبنيه: يا بني لا يقعدن أحد منكم في السوق، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلى زرّاد أو سرّاج أو ورّاق.[4]

7. يعجبنى أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله-[5]

8. لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به.[6]

9. اناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت.[7]

---

1 حمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 2، ص 286

2 العزيزي، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، ج 3، ص 308

3 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 1، ص 142

4 ابن قتيبة الدينورى، عيون الأخبار، ج1، ص 212

5 علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 551

6 راغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، جامع الكتب الإسلامية، ج 1، ص47

7 شهاب الدين الأبشيهى، المستطرف فى كل فن مستطرف، ج1، ص309

10. ليس شيئ أنمى من بقية السيف.

11. كان المهلب يقول لبنيه: يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم.[1]

12. قيل للمهلب: بم أدركت ما أدركت؟ قال: بالعلم، قيل له: فإن غيرك قد علم أكثر ما علمت ولم يدرك ما أدركت، قال: ذلك علم حمل، وهذا علم استعمل.[2]

13. قيل للمهلب: بم نلت ما نلت- قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى.[3]

14. قال المهلب لبنيه: إذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فإن الناس للسلطان أهيب من للقرآن.[4]

15. أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسمان ما أسِرّ إليه.[5]

16. إن من البلية أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره.[6]

---

1 ابن شمس الخلافة، كتاب الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامع، ص4

2 لابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص77

3 ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين،دارالكتب العلمية، بيروت، ص184

4 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص 214

5 المبرد،الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 232

6 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص 268

17. من عجز عن جباية الخراج وهو عن قتال العدو أعجز.[1]

18. كان المهلب يقول لبنه: لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم، فيبغُوا عليكم فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم.[2]

19. قيل للمهلب ما تقول في العفو والعقوبة، قال: هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت.[3]

1 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 263

2 المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص 271

3 موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقا، ج1، ص 436،

المصادر والمراجع

مصادر ومراجع

1. الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة، ابن شمس الخلافة، جعفر بن محمد (شمس الخلافة) ابن مختار الأفضلي، أبو الفضل، الملقب مجد الملك (المتوفى: 622هـ)، مطبعه السعادة بجوار محافظة مصر- 1931ء

2. اردو دائره معارف اسلاميه، جامعه پنجاب، لاهور، بار دوم، ط1422ھ 2001ء

3. أسد الغابة في معرفة الصحابة،المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: 1415هـ - 1994 م

4. الاصابة فى تمييز الصحابة، علامه ابن حجر عسقلانى مكتبه رحمانيه

5. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ

6. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، علامة عينى، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ

7. تاريخ ابن خلكان المعروف وفيات العيان وابناء الزمان، ناشر نفيس اکیڈمی کراچی

8. تاريخ اسلام، مولانا اكبر شاه خان نجيب آبادي، دار الاندلس، لاهور، پاکستان- 1426ھ

9. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية - 1387 هـ

10. تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت د. أكرم ضياء العمري، دارالقلم دمشق، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1397ھ

11. تاریخ وتمدن ملتان: ابتدائے آفرینش سے عصر حاضر تک، از اخلاق احمدقادری، علم وعرفان پبلشرز، لاہور 2011ء.

12. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م

13. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي البلدان، البلاذري، De Geoje، 1866م

14. التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا]، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

15. الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998 م

16. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، : أحمد زكي صفوت، الناشر: المكتبة العلمية بيروت-لبنان

17. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت

18. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (توفي بعد 372هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1432هـ

19. حيات حضرت امام ابوحنيفه، مصنف ابوزُهره مصرى، مترجم غلام احمدحريرى، ملک سنز پبلشرز، فيصل آباد

20. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: **676**هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان

21. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، دارالكتب العلمية، بيروت

22. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، المؤلف: الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، بدون تفاصيل نشر-

23. سنن أبي داود،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: **275**هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

24. السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: **303**هـ)، المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، **1406** هـ

25. شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديدى، دار الكتب العربى، بغداد،**2007**ء

26. صحابه اكرام پاکستان میں،تحقیق وترتیب ضياء الله خان جدون، نوارخان جدون ریسرچ سینٹر، بیسک گدون، صوابی، خیبر پختون خواه

27. صحيح مسلم / المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن

القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

28. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ناشر نفيس أكادمي، كراچی

29. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: 328هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

30. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: 1418 هـ

31. عيون الحكم والمواعظ - علي بن محمد الليثي الواسطي، موسوعه فرهنگی، دار الحديث قم، ايران1376هـ

32. فتح الباری، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ

33. فتوح البلدان، احمد بن يحى بن جابر الشهير البلاذری، ناشر نفيس أكادمي كراتشی

34. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م

35. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن

عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت عمر عبد السلام تدمري، دارالكتاب العربي، بيروت، ط**1**، **1417**هـ/ **1997**م،

36. الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: **285**هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة **1417** هـ - **1997** م

37. مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: **728**هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: **1416**هـ/**1995**م

38. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، جامع الكتب الإسلامية، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: **502**هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، **1420** هـ

39. المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: **852**هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، **1419** هـ

40. مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: **204**هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن

عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، **1419** هـ - **1999** م

41. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: **241**هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، **1416** هـ - **1995** م

42. مشكوة شريف شرح مظاهر حق، دار الاشاعت،كراتشى، باكستان-**2009**ء-

43. المعارف، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: **276**هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، **1992** م

44. المعجم الاوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: **360**هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

45. معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: **626**هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، **1995** م

46. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: **548**هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي

47. موسوعة الأخلاق الإسلامية-الدرر السنية، مجموع من الباحثين- dorar.net، 1433هـ

48. ميزان الاعتدال، امام شمس الدين الذهبی، مکته رحمانیه

49. النبوات، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

50. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت

1. Al-Hind, the Making of the Indo-Islamic World
2. E.J.W. Gibb Memorial Trust, Cambridge, England, ISBN No. 0 906094 03 8,
3. Hudud al-'Alam, 'The Regions of the World', A Persion Geography, (372AH/982AD), Translated and Explained by V. Minorsky, 1970, 2nd Ed.

التعارف المؤلف

الدكتور القاضي سيد محمد أنور هو أحد الشخصيات البارزة في الساحة القانونية والقضائية في باكستان، ويتمتع بخبرة واسعة في مجالات القانون والشريعة الإسلامية. يعتبر من الشخصيات التي أسهمت بشكل كبير في تطوير النظام القضائي في بلاده.

حياته العلمية

حصل الدكتور أنور على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، بالإضافة إلى درجة الماجستير في القانون الدولي الاقتصادي (**LL.M**) من اليابان. كما يحمل العديد من الدرجات الأكاديمية في الدراسات الإسلامية واللغة العربية، مما يعكس تنوع خلفيته الأكاديمية واهتمامه العميق بالعلوم الدينية والقانونية.

المناصب المهنية

شغل الدكتور أنور عدة مناصب قانونية رفيعة المستوى طوال مسيرته المهنية، من أبرزها:

قاضي في المحكمة الشرعية الفيدرالية في باكستان (تم تعيينه مرة أخرى في **10** يوليو **2023**).

عضو في المحكمة الاستئنافية للجمارك القضائية والضرائب.

عضو في مجلس الفكر الإسلامي (**CII**).

مدير الشؤون القانونية في وزارة تكنولوجيا المعلومات.

نائب المدعي العام لباكستان.

رئيس جمعية المحامين في إسلام آباد.

توضح هذه المناصب تنوع خبراته القانونية وأثره الكبير في إصلاح وتطوير النظام القضائي في باكستان.

التخصصات القانونية والأكاديمية

يُعرف الدكتور أنور بتخصصه العميق في مجالات مثل: القانون الدولي، والأمن السيبراني، والشريعة الإسلامية. كما قام بإلقاء محاضرات في العديد من المؤسسات التعليمية الوطنية وشارك في مؤتمرات دولية حول قضايا قانونية معاصرة، مما يعكس اهتمامه المستمر بتوسيع آفاق معرفته.

الإسهامات القضائية

من أبرز إسهاماته القانونية:

حكمه التاريخي في **2022**م بإلغاء الربا في النظام المالي الباكستاني، الذي أدى إلى تعديلات دستورية هامة لتطبيق المبادئ الإسلامية في المجال المالي.

وحكمه في قانون المتحولين جندريًا **2018**، الذي ساهم في تعزيز حقوق مجتمع "خواجة سرا" في باكستان.

وحكمه في قضايا العنف المنزلي وزواج الأطفال، إضافة إلى حكمه بشأن سوارا وفاني، والخلع وإرث المرأة. كما كان له دور بارز في تعيين القاضيات في المحاكم.

تكريمات وجوائز

حصل الدكتور سيد محمد أنور على العديد من الجوائز تقديرًا لإسهاماته

القانونية والفكرية، منها:

جائزة القاضي أ. ر. كورنيليوس من منتدى حقوق الأقليات في **2024**.

جائزة كامبريدج للإنجاز مدى الحياة لعام **2024**.

جائزة الإنجاز مدى الحياة في جامعة قائد أعظم بإسلام آباد.

جائزة إنجاز العمر في مؤتمر منهاج للتمويل الإسلامي في لاهور.

الاهتمامات الثقافية والعلمية

بعيدًا عن المجال القضائي، يولي الدكتور أنور اهتمامًا خاصًا بالتاريخ الإسلامي واللغات. من بين إسهاماته الثقافية، قام بإعداد خريطة شاملة لتاريخ الحكم الإسلامي في العالم، مما يعكس شغفه بالحفاظ على التراث الإسلامي وتعزيز الوعي الثقافي بين الأجيال الجديدة.

الدكتور القاضي سيد محمد أنور ليس مجرد شخصية قانونية فحسب، بل هو أيضًا شخصية أكاديمية وثقافية أثرت في العديد من المجالات. إسهاماته في تطوير النظام القضائي والمالي في باكستان، بالإضافة إلى اهتمامه بالقضايا الثقافية والتعليمية، جعلته واحدًا من الأسماء المرموقة في المجتمع الباكستاني.

المهلب بن أبي صفرة: أول علم إسلامي في باكستان

الكتاب الذي بين أيدينا يتناول دراسة تاريخية عن حياة المهلب بن أبي صفرة، أحد القادة البارزين في تاريخ الفتوحات الإسلامية. يبرز الكتاب دور المهلب في تلك الفتوحات وتركيزه على تأثيره الكبير في المنطقة التي أصبحت الآن باكستان.

الفكرة الرئيسية التي يركز عليها الكتاب هي الترابط بين التاريخ الإسلامي

وواقعنا في باكستان، حيث يسعى الكتاب إلى تقديم رؤية حول الأثر الذي تركه المهلب في تاريخ الأمة الإسلامية وكيف يمكن للجيل المعاصر الاستفادة من تلك التجارب لتطوير الهوية الثقافية والدينية في باكستان.

لا يقتصر الكتاب على سرد الأحداث فقط، بل يعرض أيضًا خرائط لمدن ومناطق مر بها المهلب أو جيوشه، مما يساعد القارئ على الفهم الكامل للجغرافيا والتاريخ. كما يعرض الكتاب نقدًا للأخطاء التاريخية الشائعة بالأدلة العقلية والنقلية.

ولأهمية الكتاب الدولية، قمنا بترجمته إلى اللغة العربية لتعريف القارئ العربي بالشخصية المشتركة بين دولنا العربية الإسلامية ووطننا باكستان. نأمل أن نضع هذه الشخصية نصب أعيننا وأن نسعى مثل المهلب في السعي نحو التنمية الثقافية بالحكمة والتفكير العميق.

نسأل الله عز وجل أن يجزي الدكتور أنور على جهوده العلمية والثقافية جزاءً حسناً في الدنيا والآخرة، وأن يوفقه لخدمة الإسلام وشعب باكستان. آمين!

نسأل الله عزوجل أن يجزي الدكتور أنور على جهوده العلمية والثقافية جزاءاً حسناً في الدنيا والأخرة وأن يوفقه لخدمة الإسلام وشعب الباكستان. آمين!

المترجم/ د. نصر الله قريشي
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
جامعة بحرية كراتشي- باكستان

أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة (توفي **82** هـالموافق بـ **702**م) هذا أول كتاب في سلسلة "الباب الأول لتاريخ باكستان". تهدف هذه السلسلة من الكتب إلى تعرف الشباب الباكستاني على أسس باكستان الفكرية الإسلامية من خلال جذورها التاريخية. الفاتح الأول لمناطق باكستان المهلب يمتلك صلاحيات غير عادية ولشخصيته جوانب متعددة لدرجة أنها توجهنا في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية في يومنا هذا. ومنها:

- ❖ دخل المهلب إلى منطقة باكستان في سنة **42** هـ (حوالي **662**م) أي قبل حوالي **45** عامًا من محمد بن قاسم.
- ❖ المهلب يعد مثالًا عمليًا للسياسة الأصولية.
- ❖ يعتبر المهلب رمزًا للوحدة بين العرب والعجم.
- ❖ المهلب يمثل القضاء على فتن التطرف ووالخروج والعدوان داخل الدولة الإسلامية.
- ❖ توجد علاقة تاريخية عميقة بين شخصية المهلب وأفغانستان والپشتون.
- ❖ تتمتع شخصية المهلب بأهمية خاصة لباكستان ولمنطقة جنوب آسيا.
- ❖ المهلب ليس فقط من أعظم القادة العسكريين في العالم، بل هو أيضًا قائد حكيم ذا بصيرة.
- ❖ المهلب هو رمز للعدالة في السياسة.
- ❖ المهلب كان خطيبا وشاعراً، وبعض أقواله وصلت إلى درجة الحكمة وتستعمل إلى اليوم كضرب الأمثال.